وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

دراسة لغوية ونحوية
في قراءتي الإمامين
محمد الباقر وجعفر الصادق (عليهما السلام)

أُطروحة قدّمها الطالب

حسام غضبان جاسم الربيعي

إلى

مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة ديالى

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه (فلسفة) في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

الأستاذ الدكتور
عثمان رحمن حميد الأرَّكي

ربيع الأول 1435هـ **كانون الثاني 2013 م**

توطئة

تعد اللغة العربية من اللغات التي تمتلك القدرة الاشتقاقية ، لذلك فإن المستوى الصرفي هو حجر الزاوية في الثراء الذي تمتلكه اللغة العربية من ناحية كثرة المفردات. وإن وجود سمة الاشتقاق ووجود قواعد للاشتقاق هما أهم مظهرين من مظاهر النماء والتطور في اللغة العربية. فإن العربي قد امتلك الجذر اللغوي ، وتوافرت له قواعد يمكن أن يستعملها في تصريف هذا الجذر على وفق هذه القواعد فتولدت لديه من هذا المخاض المبدع كلمات كانت عماد نصوصه ؛ الأمر الذي أثرى المعجم العربي ، بما يساعد عليه من اكتشاف كلمات جديدة.

والصرف – كما عرفه العلماء – هو :(تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعانٍ مقصودة لا تَحْصُل إلا بها)[1]. وهو علم عظيم النفع ، يقول الشيخ أحمد الحملاوي مادحًا علم الصرف : (ما انتظم عقد إلا والصرف واسطته ، ولا ارتفع منار إلا وهو قاعدته ، إذ هو إحدى دعائم الأدب ، وبه تعرف سعة كلام العرب ، وتنجلي فرائد مفردات الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وهما الواسطة للوصول إلى السعادة الدينية والدنيوية)[2]. فهو دراسة لأحوال أبنية الكلمة التي هي الوحدة الأساس في العبارة ، والتوصل إلى معرفة الدلالة التي تدل عليها هذه الأبنية.

إن المستوى الصرفي يدرس الكلمة المفردة لوحدها ، أي : من دون إدخالها في جملة. فيدرس وزنها واشتقاقها والتغيرات التي طرأت عليها ، من تقديم أو تأخير بين حروفها ، والمحذوف منها والعوض والمعوض عنه ، والذي انتقل وتحول إلى حرف آخر ، ودلالات الأوزان المختلفة ، وما إلى ذلك من أحوال الكلمة[3]. ولما كانت الكلمة هي الوحدة الدلالية الأساس في اللغة ، فإن المستوى الصرفي يعد مستوى مهمًا في دراسة الظاهرة اللغوية ، ومعلوم أن المستوى الصرفي يقوم على دراسة الأبنية المختلفة للكلمات.

---

[1] تصريف الزنجاني : 12.
[2] شذا العرف في فن الصرف : 15.
[3] ينظر المعجم المفصل في علم الصرف : 287.

والأبنية : جمع بناء ، وهو هيأة الكلمة من حركة وسكون وعدد حروف وترتيب[1]. وهنالك من حاول حصر هذه الأبنية في العربية ، وأول من حاول ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي[2]. وهي أبنية كثيرة ، فإذا أضفنا إلى كثرتها كثرة أصول الكلمات ، تبين لنا مدى الثراء في مفردات اللغة العربية. فكل أصل يمكن أن تتولد منه مجموعة كبيرة من الكلمات ، بحسب قبولها للقوالب الصرفية المختلفة. وقد وضع العرب لكل معنى قالبًا يعبر عنه ، أو أكثر من قالب ، ولكنهم لم يضعوا أكثر من قالب للتعبير عن معنى واحد إلا ما كان في بيئات لغوية مختلفة.

فالجذر (كَتَبَ) يمكننا أن نحصل منه على مجموعة كبيرة من الكلمات عن طريق صبه في قوالب البنى المختلفة ، على النحو الآتي : (كَتَبَ ، يَكْتُبُ ، اُكْتُبْ ، كاتِب ، مَكْتوب ، مَكْتَب ، مَكْتَبَة ، كِتاب ، ...)، ولكل كلمة من هذه الكلمات اشتقاقات أخرى يمكن أن تشتق منها عن طريق حروف الزيادة في الأفعال ، وفي الاسم المثنى والجمع والمؤنث والتصغير ونحوها ،الأمر الذي يزيد من غنى اللغة العربية. ولكل كلمة دلالة صرفية خاصة ، تختلف عن الدلالة الصرفية للكلمة الأخرى ، وإن اتفقت في الدلالة المعجمية للجذر. فـ (كاتِب) تدل على الذي يقوم بفعل الكتابة ، و(اُكْتُبْ) أمر للمخاطب بإحداث فعل الكتابة ، ... إلخ. فالكلمة بحصول هذه الانزياحات الصوتية لها تنتقل من معنى إلى آخر داخل الجذر اللغوي الواحد ، إما لتعبر عن الفاعل أو المفعول أو غيرهما.

اختلف القُرَّاء في ما بينهم في قراءة بعض الكلمات القرآنية ، فانتقلت الكلمة نتيجة لهذا الاختلاف في النطق من وزن صرفي إلى وزن صرفي آخر ، فانتقلت الكلمة نتيجة لذلك إلى دلالة صرفية جديدة ؛ فقد تنتقل من اسم فاعل إلى اسم مفعول أو من مصدر إلى فعل جمع بحسب طريقة الانزياح في الأصوات. وتعبر الكلمة عن أكثر من معنى نتيجة لاختلاف القرّاء في قراءتها ، فتعطي إشعاعات دلالية مختلفة ، وبذلك تكون الكلمة أكثر ثراءً من ناحية الدلالة عندما تُقْرَأ بقراءات

[1] ينظر شذا العرف في فن الصرف : 18 ، وأبنية المبالغة ودلالاتها في القرآن الكريم : 21.
[2] ينظر أبنية المبالغة ودلالاتها في القرآن الكريم : 21.

مختلفة. لذلك فإن القراءات القرآنية تعد مصدرًا مهمًا من مصادر الثراء الدلالي للنص القرآني ، فلا عجب إذن أن يعبر القرآن الكريم عن معانٍ عظيمة تصلح حال البشرية إلى يوم القيامة بألفاظ قليلة محدودة.

وجدير بالذكر أن بعض الكلمات لا تنتقل بين الدلالات الصرفية المختلفة للجذر الواحد ، بل قد تنتقل من جذر إلى جذر آخر في بعض القراءات.

ومن عبقرية العبارة القرآنية احتواؤها كلمات يمكن أن تُقْرَأَ بأكثر من قراءة بحيث تختلف دلالتها الصرفية ، وقد تخرج إلى أصل دلالي آخر ؛ ومع ذلك فإن الكلمة الجديدة ستندرج كسابقتها داخل النظام الدلالي للجملة دون تشويه للمعنى ، بل بتواؤم دلالي عجيب ، ولا عجب فهو كلام الله ﷻ.

وكل قراءة تعطي إشعاعًا مختلفًا لمعنى العبارة ، أو تعطي دلالة جديدة ، وكلا الأمرين ينسجم مع السياق الذي وردت فيه هذه الآية ، وعلى القراءتين ؛ وتنتظم في عقد آيات السورة كما لو لم يكن قد حصل تَغَيُّر يُذْكَر. الأمر الذي يعطينا - في بعض الأحيان - عبارة تحوي معنى عبارتين ، نتيجة لاختلاف القراء في قراءة كلمة واحدة في العبارة القرآنية. وهذا باب واسع من أبواب الثراء الدلالي الذي يعد من أهم مميزات العبارة القرآنية التي تميزها من العبارة البشرية من شعر أو نثر.

وقد قام البحث في هذا الفصل بتسليط الأضواء على المسائل الصرفية الموجودة في قراءتي الإمامين الباقر والصادق ﷺ. وقد صُنِّفَتْ على مبحثين المبحث الأول: الأسماء. والمبحث الثاني: الأفعال. ومعلوم أن قسيمهما الثالث الحرف ليس من مباحث علم الصرف.

وتم تناول المسائل الصرفية تناولًا يبحث أولًا التباين الصوتي للكلمة على القراءتين إذ إن التباين الصوتي بين القراءتين هو أساس التنوع في القراءات وتمت الإشارة – بقدر المستطاع – إلى الترابط بين الصوت والدلالة وبعد الصوت تم بحث وزن الكلمة مشفوعًا بمعنى الوزن ثم معنى الكلمة ثم انسيابها داخل السياق وما ينطوي على ذلك من معناها السياقي. وقد تمت دراسة الكلمة أولًا من الناحية

الصوتية لكون المسائل الصرفية من وزن واشتقاق تقوم أساسًا على مقدار الاختلاف الصوتي بين الكلمة على القراءة المدروسة وأختها في نص المصحف.

المبحث الأول : الأفعال

الأفعال حركة اللغة من خلال تَنَقُّلِها بين السياقات المختلفة والجمل المتنوعة. وارتأى البحث تقديم دراسة الأفعال على دراسة الأسماء كما هي طريقة الصرفيين. والأفعال - كما هو معلوم - تنقسم قسمين بحسب حروفها الأصول والحروف الزائدة الداخلة عليها ، فتنقسم إلى المجرد والمزيد. وقد احتوت قراءتا الإمامين ﵉ا مجموعة من الأفعال تم تقسيمها على مطلبين : الأول الثلاثي المجرد ، والثاني الثلاثي المزيد. على نحو ما يأتي :

المطلب الأول : الثلاثي المجرد

الفعل الثلاثي المجرد هو الفعل الثلاثي الخالي من حروف الزيادة ، أي : إن كل أحرفه أصول ، والعبرة في الأحرف الثلاثة بالفعل الماضي ، ولا يحتسب في أحرف الزيادة حرف المضارعة ، وفي قراءتي الإمامين ﵉ا ورد عندنا في هذا الباب فعلان اثنان ، فدُرِسا على النحو الآتي :

"فَعَلَ" بدل "أفْعَلَ"

قرأ الإمام الباقر ﵇ قول الله ﷻ: ﴿ □□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□□□□□□□ □□□□□□ □ □ □□□□□□□□□□ □□□□ □□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□ ﴾ [الزخرف : 52] بفتح الياء الأولى في (يَبين). وهي من انفراداته[1].

الكلمة القرائية (يَبين) ي ـَ / ب ـِـ / ن ـُ

الكلمة المصحفية (يُبين) ي ـُ / ب ـِـ / ن ـُ

لا اختلاف في النظام المقطعي للكلمة بين القراءتين ؛ فكل منهما تتكون من ثلاثة مقاطع : الأول والثالث قصيران مفتوحان ، والثاني طويل مفتوح. والفرق الوحيد بين الكلمة وبديلتها يكمن في قمة المقطع الأول ؛ ففي قراءة الإمام قمته فتحة ، وفي

[1] ينظر البحر المحيط : 8 / 23 ، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون : 9 / 599.

قراءة الجمهور ضمة. والضمة أقوى من الفتحة. لذلك فقراءة المصحف أصعب من قراءة الإمام.

هذه الآية وردت ضمن خطبة وجهها فرعون إلى قومه يفخر فيها بنفسه. ولا بد من سوق هذه الخطبة بطولها لكونها تؤثر سياقيًا في معنى كلمة (يبين) قال الله ﷻ:

﴿ t A$ s% ¾Ï mÏ Böq s% ' Î û ãb öq t ãö □Ï ù3" y Š$ t Ru r
u Žó ÇÏ Bà 7 ù= ãB ' Í < }§ø Š s9 r & É Qöq s) » t ƒ
` Ï B " Ì □øg r B ã□» y g ÷RF{ $ # Í nÉ ‹ » y d u r
ô Qr & ÇÎ Ê È t b r ç ŽÅ Ç ö7 è ? Ÿx sùr & (ûÓ É L ó ss?
u q è d " Ï %©! $ # # x ‹ » y d ô ` Ï i B ×Ž ö □y z O$ t Rr &
l wö q n= sù ÇÎ Ë È ß ûüÎ 7 ã ƒ ß Š %s3t ƒ Ÿwu r ×ûüÎ g t B
A= y d sŒ ` Ï i B ×o u ' È q ó ™r & Ï mø‹ n= t ã u ' Å + ø9 é &
è p x 6Í ´ ¯ » n= y J ø9 $ # ç my è t B u ä! %y ` ÷r r &
ÇÎ Ì È š úüÏ RÎ Žt I ø) ãB ﴾ [الزخرف : 51 – 53].

فأما قراءة الإمام (يَبينُ) فهي فعل مضارع من الفعل الماضي الثلاثي (بانَ)[1]، وهو بمعنى (ظهر ما كان مستترًا منه)[2]. ويقال : (بان الصبح : ظهر)[3]، والفتحة على ياء المضارعة دليل على أن الفعل ثلاثي. وعلى هذا يكون المعنى أن فرعون يدعي أن موسى عليه السلام لا يكاد يظهر ولا يكاد يُرى ؛ استخفافًا به وتقليلًا من شأنه ؛ فكأنه يتجاهل وجوده ، وكأنه قال : أ أنا خير أم هذا المهين الذي لا يكاد يوجد ؟ من كثرة المهانة وتواضع المكانة الاجتماعية ! والفعل (يَبين) لا يفهم على الحقيقة ؛ فقد كان موسى عليه السلام قوي الجسم ، لا يخفى مثله على الناظرين ولكنه أراد الوجاهة والمكانة ، وبذلك تكون جملة (لا يكاد يَبين) إمعانًا في تعميق معنى "مَهين" في ذهن المتلقي ، وتأكيدًا له بما هو أكثر مهانة. أي : (أنه ليس معه من العدد وآلات الملك والسياسة ما يعتضد به)[4]. ولهذا فحينما وصف فرعون نفسه لم يصفها بالضخامة ، بل وصفها بالملك ، وهذا الإمعان في المهانة يقابله وصف فرعون لنفسه بأنه له ملك مصر ، وهذه الأنهار تجري من تحته في الآية السابقة لهذه الآية. فأنا لي الملك والأنهار ، وهذا مهين ، ولا يكاد يوجد من المهانة. وتساءل : أينا خير ، أنا صاحب

---

1 الدر المصون : 9 / 599.
2 المفردات في غريب القرآن : 77 ، وينظر الدر المصون : 9 / 599.
3 المفردات : 77 ، وينظر البحر المحيط : 8 / 23.
4 الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل 4 / 251.

الملك والأنهار أم هذا معدوم المكانة ؟ وصاغ العبارة على شكل سؤال ، كأنه يترك الحكم للمتلقين. وحتى هذه الشبهة لا واقع لها ، فإن موسى عليه السلام كان صاحب مكانة في قومه بني إسرائيل ، وأتقن كل الرياضات الموجود في مصر في وقته ، وكل فلسفة الفراعنة. وبذلك امتلك صفات عالية تؤهله للمكانة العالية التي اختاره الله تبارك وتعالى لها. فضلًا عن أن ما هجا به فرعون موسى عليه السلام من أنه (لا يكاد يَبين) فيه وجه مدح. فالأصل في القائد أن يذوب في المجموع على الرغم من تميزه ، وأن يكون القائد غير متميز من الشعب ؛ الأمر الذي لا يتلاءم مع نظرية الحكم الفرعوني القـــائم علـــى التســـلط ؛ بادعائـــه الربوبيـــة ، إذ قـــال : ﴿... O$ t Rr & ‘ u / ã Nä3š # $ { F ã ô ?n ’ 4 È Í Ë Ç﴾ [النازعات : 24]، ودفعهم إلى أن يوحدوه بالعبادة ، فليس لهم إله غيره هو - على زعمه -: ﴿ t A$ s%u r

$ t B _ | y J ø9 $ # $ y g • ƒ r ' ¯ » t ƒ ã b ö q t ã ö Ï ù

ã t = Î J ô M à 6s9 à N B i Ï ` ô) Î s9 » m > Î x ö Ž Î " ...﴾

[القصص : 38] ، فلا عجب أن يرى أن هذه الصفة صفة سلبية ، فإن فرعون أتى يذم موسى فمدحه.

وأما قراءة الضم (يُبين) فالفعل فيها فعل مضارع من الفعل الرباعي الماضي (أبان)[1]. دلنا على ذلك ضم حرف المضارعة ، فإنه يضم مع الفعل الرباعي.

والفعل (يُبين) من نوع الثلاثي المزيد بالهمزة. وهذه الزيادة أفادت معنى التعدية إذ إن فعله المجرد (بان) لازم ، وبزيادة الهمزة صار متعديًا ، يقال : بان الشيءُ وأبَنْتُهُ.

أبان أظهر ، وهي - على هذه القراءة - بمعنى أفصح ، وأوضح معاني كلامه ، ويُبين : بمعنى يُفْصِح ، ويعبر عن معانيه بوضوح ، وتكون داخل السياق القرآني : ﴿... Ÿwu r ß Š%s3t ƒ ß ã ƒ 7 Î ûü ß È Ë Î Ç﴾ معناه : ولا يكاد (يظهر كلامه للثغته بالجمرة التي تناولها في صغره)[2]. وكان موسى عليه السلام (في لسانه شيء

---

[1] ينظر الدر المصون : 9 / 599.
[2] تفسير الجلالين بهامش المصحف الشريف : 493 ، وينظر جامع البيان في تأويل القرآن : 11 / 196.

من الجمرة حين وضعها في فيه وهو صغير)[1]. ففرعون – على هذه القراءة – يلصق بموسى عليه السلام تهمة تواضع المنزلة ، ويردفها بتهمة أخرى هي العي وعدم القدرة على الإفصاح اللفظي ؛ فكأنك حين تسمعه لا تكاد تعرف ما يريد أن يقوله لك ، يريد أنه (هو في نفسه مخل بما ينعت به الرجال من اللسن والفصاحة ، وكانت الأنبياء كلهم أبيناء بلغاء)[2]. وتتجلى مقارنة فرعون نفسه بموسىعليه السلام من وجه آخر ، فإنه وصفه بأنه لا يُكاد يفهم منه شيء في حين يلقي فرعون هذه الخطبة البليغة الرنانة ، ويقنع بها بني إسرائيل رغم محتواها الخاطئ ، ففرعون لم يُبِن فقط ، وإنما حول الأفكار الجوفاء إلى كلام مقنع. فالملك ليس دليلًا على الخيرية في الحقيقة ! فأين الملك من النبوة والهداية التي يمتلكها موسى عليه السلام ؟ ومع ذلك أوهم قومه بأن هذه الفكرة الخاطئة دليل على أفضليته على موسى عليه السلام، واقتنع قومه بهذا الوهم.

اتهم فرعون موسى عليه السلام - على هذه القراءة - تهمتين : الأولى هي تواضع المنزلة ، والثانية عدم الإبانة. أما على القراءة الأولى فقد اتهمه تهمة واحدة وعَمَّقَ هذه التهمة.

إن تهمة عدم الفصاحة (كذب بحت ، ألا ترى إلى مناظرته له ورده عليه وإفحامه بالحجة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم بلغاء)[3]. ويرد عليها أيضًا بأن أفعال موسى عليه السلام أغنت عن تدبيج الخطب الرنانة. فهو الذي أنقذ بني إسرائيل من قبضة فرعون ! وما فائدة الخطب الرنانة إذا لم يشفعها العمل ؟ وإذا كان فيه شيء من اللثغة ؛ فإنه عارف بها ، ولم تشكل له عقدة نفسية ؛ بل حاول تجنبها بالاستعانة بأخيه النبي هارون عليه السلام في قوله :﴿ Ücr ã » y d ÓÅ r & u r

$ ZR$ | ¡ Ï 9 ÓÍ h _ Ï B ß x | Áøùr & u q è d
ûÓÍ _ è %Ï d %| Á ã ƒ # [ä ÷ Š Í ' z Ó É ë t B ã& ù# Å™ö' r 'sù
Ç Ì Í È Âc q ç / É j ‹ s3 ã ƒ b r & ß $ %s{ r & þ' Î o T Î) (

[1] تفسير القرآن العظيم : 4 / 155.
[2] الكشاف : 4 / 251.
[3] البحر المحيط : 8 / 23.

﴾ [القصص : 34]. ناهيك عن أنه هو طلب من الله تعالى أن يحل عقدة لسانه ، يقول الجاحظ : (وسأل الله عز وجل موسى ابن عمران عليه السلام حين بعثه إلى فرعون بإبلاغ رسالته ، والإبانة عن حجته ، والإفصاح عن أدلته ؛ فقال حين ذكر العقدة التي كانت في لسانه ، والحبسة التي كانت في بيانه :﴿ ö @è = ô m$ # u r

Ç Ë Ð È ' Î T$ | ¡ Ï j 9 ` Ï i B Z o y ‰ø) ãã

ƒ t ÿø) s g ß q # (%s q ö > Í ' È Ñ Ë Ç ﴾)[1]. فاستجاب الله تعالى قد أزال العقدة التي في لسانه ، يقول الطبري :(قد أُعطيت ما سألت يا موسى ربك : من شرحه صدرك ، وتيسيره لك أمرك ، وحل عقدة لسانك ، وتصيير أخيك هارون وزيرًا لك ، وشد أزرك به ، وإشراكه في الرسالة معك)[2]. (ومن الدليل على أن الله تعالى حَلَّ تلك العقدةَ ، وأطلق ذلك التعقيد والحبسة قوله :

﴿... ‘ u > b É # $ ° õ Ž u y ÷ < Í ' ¹ |‰ ô ‘ Í “ È Î Ë Ç
u r ¾ Å c £ Ž ÷ < Í ’ þ & r B ø Ì “ È Ï Ë Ç u r # $ m ô = è @ ö
ã ã) ø ‰ ‰ y o Z B i Ï ` 9 j Ï ¡ | $ T Î ' È Ð Ë Ç
ƒ t ÿø) s g ß q # (%s q ö > Í ' È Ñ Ë Ç u r # $ _ ô è y @
< k Í ' r u — Î ƒ \ # B i Ï ` & r d ÷ ? Í ' È Ò Ë Ç
d y » ã r & t br & Ç Ì È # $ © ô‰ ‰ ß Š ÷ / Î m Ï ¾ ÿ
& r —ø ' Í ‘ “ È Ê Ì Ç u r & r ° õ Ž Î . ø m ç û Î ’ þ & r B ø Ì “
È Ë Ì Ç 1s ’ ö S è ¡ | 7m Î s y 7 y . x V Ï Ž Z # È Ì Ì Ç) Î ¨ R 7 y
t R . ä t 8 x . ä Ï Ž · # È Í Ì Ç) Î ¨ 7 y .‰ . ø t u r
& é ? r ? Ï ™ ß ÷ ß 9 s 7 y ƒ t ƒ » J ß q B y › 4 y È Ï Ì Ç ﴾ [طـه : 25 - 36]

فلم تقع الاستجابة على شيء من دعائه دون شيء ، لعموم الخبر)[3]. وعلى ذلك فالله تعالى أجاب كل سؤله ، ومن ضمنه : ﴿ ö @è = ô m$ # u r Ç Ë Ð È ' Î T$ | ¡ Ï j 9 ` Ï i B Z o y ‰ø) ãã ﴾، وكيف تكون الاستجابة إذا لم تكن بإزالة العقدة في لسانه ؟

سبق في الصوت أن قراءة المصحف (يُبين) أصعب من قراءة الإمام (يَبين) نتيجة لوجود الضمة في قراءة المصحف والفتحة لقراءة الإمام. وهذه الصعوبة

---

[1] البيان والتبيين : 1 / 8 ، والآيتان في سورة طه 27-28.
[2] جامع البيان في تأويل القرآن : 8 / 411.
[3] البيان والتبيين : 1 / 8.

الموجودة في قراءة المصحف (يُبين) موظفة توظيفًا دلاليًا ؛ حيث إنها تتناسب مع عدم القدرة على الإبانة.

أما السهولة الموجودة في قراءة الإمام فإنها تتناسب مع سهولة الذوبان في المجموع ، وعدم الظهور ، لاسيما وأنها تصدر من رسول من أولي العزم من الرسل.

"فَعَلَ" بدل "فَعَّلَ"

وقرأ الإمام الصادق ﷺ قوله ﷻ: ﴿ [illegible] **﴾** [الفتح : 9] ﴿ وَتَعْزِروهُ ﴾.

وبها قرأ الجحدري ﷺ[1].

فمن قرأ : ﴿ وَتَعْزِروهُ ﴾ بفتح التاء وسكون العين وكسر الزاي قصد الفعل الماضي الثلاثي المجرد "عَزَرَ - يَعْزِرُ". والتاء في بداية الفعل المضارع جيء بها للدلالة على المخاطب. ومعنى هذا الفعل هو "تعظموه"[2].

ومن قرأ : ﴿ [illegible] **﴾** فيمكن حمل الكلمة معها على معنيين :

الأول : (التعظيم والتوقير)[3]، فيكون معنى "لتعزروه"، أي : "لتعظموه"[4]. والتعزير على هذا المعنى يصبح من الأضداد ؛ فإنها تستعمل في التعظيم والتحقير معًا في لغة العرب ؛ فتقول : عزرته إذا عظمته كما في الآية موضع الشاهد ،

---

1 ينظر مختصر ابن خالويه : 46 ، والكشاف : 4 / 326 ، والبحر المحيط : 8 / 92 ، والدر المصون : 9 / 711 ، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : 26 / 96.

2 ينظر البحر المحيط : 8 / 92 ، والمحرر الوجيز : 1731.

3 الصحاح مادة (عزر): 764.

4 ينظر التسهيل لعلوم التنزيل : 2 / 347.

والتعزير تستعمل أيضًا للتحقير ، ومنه التعزير في الشريعة ، وهو (عقوبة غير مقدرة على معاصٍ لا حَدَّ فيها ولا قصاص ولا كفارة)[1].

وذهب ابن جني إلى أن التعزير في الشريعة مأخوذ من التعظيم فبعدما ذكر التعزير بمعنى التعظيم قال :(ومنه عندي قولهم : التعزير ، للضرب دون الحد ، وذلك أنه لم يبلغ به ذل الحد الكامل وكأنه محاسنة له ومباقاة فيه)[2]. ويبدو أن هذا الكلام داخل في تعليل العلماء لوجود ظاهرة الأضداد في العربية ، وذلك بإرجاعهم المعنيين المتضادين إلى معنى مشترك واحد بالتأويل والمهارة اللغوية التي يمتلكها أمثال ابن جني من اللغويين.

الثاني : النصرة ، فيكون معنى "لتعزروه"، أي "لتنصروه"[3]، (قال مقاتل : تعينوه ، وتنصروه على أمره)[4]، والنصرة تكون بالسيف واللسان[5]. وذكر بعضهم أنها بالتشديد تكون للنصرة بالسيف فقط[6]، قال ابن جني :(وأما "تُعَزِّرُوهُ" بالتشديد فتمنعوا منه بالسيف ، فيما ذكر الكلبي. وعَزَّرْتُ فلانًا ، أي : فَخَّمْتُ أمره. قالوا : ومنه عَزْرةُ : اسم رجل)[7].

[1] مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة : 985.
[2] المحتسب : 2 / 275.
[3] ينظر التسهيل لعلوم التنزيل : 2 / 347.
[4] التفسير البسيط : 20 / 289.
[5] التفسير البسيط : 20 / 289 – 290.
[6] ينظر المحتسب : 2 / 275 ، والتفسير البسيط : 20 / 289 - 290.
[7] المحتسب : 2 / 275.

<u>المطلب الثاني : الثلاثي المزيد</u>

حروف الزيادة مجموعة في قولنا : (سألتمونيها) يضاف إليها التضعيف. والفعل الثلاثي الذي يحتوي حرفًا أو أكثر منها فضلًا عن أحرفه الأصول يطلق عليه الثلاثي المزيد. وعند البحث في قراءتي الإمامين وجد أنهما تحتويان أربعة أفعال زوجين كل زوج ينضوي تحت مجموعة على النحو الآتي :

<u>أولًا : المزيد بحرف واحد</u>

وهو الثلاثي الذي يحتوي على حرف من حروف الزيادة فضلًا عن الثلاثة الأصول. وتوزع الفعلان المنتميان إلى هذه المجموعة على ما زيد فيه التضعيف على وزن (فَعَّلَ)، وما زادت الهمزة في أوله على وزن (أَفْعَلَ).

1 - المزيد بالتضعيف على وزن (فَعَّلَ)

قرأ الإمام الصادق ﷺ قوله ﷻ: ﴿□□ □□□□□ □□□□□□□□□ □□□ □□ □□□□ □ □□□□□□□□ □□□□□﴾ [الصافات : 103] بغير همزة وبلام مشددة ﴿سَلَّما﴾.

وبها قرأ علي وابن مسعود وابن عباس ومجاهد والضحاك والأعمش والثوري والحسن والمطوعي وابن أبي عبلة وسعيد بن جبير ﷺ[1].

لا اختلاف بين عدد المقاطع الصوتية للكلمة على القراءتين ولا اختلاف في نوع كل منها. وكما هو مبين في الكتابة المقطعية :

الكلمة القرائية (سَلَّما) س ـَـ ل / ل ـَـ / م ـًـ

الكلمة المصحفية (أَسْلَما) ء ـَـ س / ل ـَـ / م ـًـ

والكلمة على القراءتين تتكون من ثلاثة مقاطع صوتية : الأول من الطويل المغلق ، والثاني من نوع القصير المفتوح ، والثالث من نوع الطويل المفتوح. والاختلاف وقع بين القراءتين في قاعدتي المقطع الأول فهما ؛ على قراءة الإمام الأولى السين ، والثانية اللام ، وعلى قراءة المصحف الأولى الهمزة ، والثانية السين.

ويمكن أن تمثل كل من الكلمتين من الناحية العروضية تفعيلة (فَاْعِلُنْ).

وجدير بالذكر أن قراءة المصحف تفرز مدًا جائزًا منفصلًا ، وذلك لمجيء الهمزة بعد حرف المد الألف من قوله (فلما) وقد سمي منفصلًا لكون سبب المد وحرفه كل منهما في كلمة ، يقول ابن الجزري :

وجائزٌ إذا أتى منفصلا[2]

وشرحها العلماء بأن المد الجائز يكون حين يأتي (حرف المد منفصلًا عن الهمزة ؛ بأن يكون حرف المد آخر كلمة ، والهمزة أول كلمة أخرى)[3]. وهذا سبب سبب تسميته منفصلًا. أما تسميته جائزًا فلاختلاف القراء في مَدِّهِ فمنهم من يمده ومنهم من لا يمده[4].

---

[1] ينظر المحتسب : 2 / 222 ، والكشاف : 2 / 348 ، ومجمع البيان : 8 / 451 ، والجامع لأحكام القرآن : 15 / 104 ، والبحر المحيط : 7 / 370 ، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر : 370.

[2] الشطر الأول من البيت 72 من المقدمة الجزرية ، ينظر جامع شروح المقدمة الجزرية : 94.

[3] الحواشي الأزهرية في حل ألفاظ المقدمة الجزرية والدقائق المحكمة في شرح المقدمة في جامع شروح المقدمة الجزرية : 94 - 95.

[4] ينظر الحواشي الأزهرية في حل ألفاظ المقدمة الجزرية في جامع شروح المقدمة الجزرية : 94.

والمد هو إطالة زمن النطق بصوت من أصوات المد[1]، وهو هنا الألف في كلمة (فلما).

فمن قرأ (سَلَّما) أراد الفعل الماضي "سَلَّمَ"، وهو فعل ماضٍ ثلاثي مزيد بالتضعيف ، فهو على وزن "فَعَّلَ". وهذا التضعيف أفاد الثلاثي التعدية فبعدما كان الثلاثي لازمًا أصبح المضعف متعديًا ، تقول : سَلِمَ الرجلُ ، وسَلَّمَهُ اللهُ ﷻ. والتضعيف لم يعد في حروف الزيادة لعدم وجود حرف واحد يعبر عليه في كل الأفعال إنما تكون ماهية الحرف تابعة لماهية عين الفعل فكيفما تكن عين الفعل يكن حرف التضعيف. فهو تشديد لعين الفعل لا حرف مستقل يضاف إلى أي فعل. وأيًا كانت حركة عين الثلاثي فإن العين في المضعف ستكون مفتوحة. ويسمى باب هذا الفعل "باب التَّفْعيل"[2]، باقتباس وزن مصادر أفعال الباب.

وهو مأخوذ (من التسليم ، أي : سَلَّما أنفسهما وآراءهما كالتسليم باليد لِما أُمِرا به ، ولم يخالفا ما أُريد منهما من إجماع إبراهيم عليه السلام الذبح)[3]، وابنه عليه السلام الصبر. فهي كلمة مشتقة (من التسليم ، وهو الخضوع والاستسلام لحكم الله ﷻ وقضائه وتفويض جميع الأمور إليه ﷻ)[4]. وبذلك فقد (فَوَّضا إليه في قضائه وقدره ، وانْحَمَلا على أمره)[5]. فكأنه إعطاء للنفس وللعقل إعطاء ماديًا لله ﷻ، لأن معنى (سَلَّمْتُهُ إليه تَسْليمًا ، فَتَسَلَّمَهُ. أي : أعطيته ، فتناوله ، وأخذه)[6]. ومعناه :(أخلص نفسه لله ، وجعلها سالمة له خالصة)[7].

ومن قرأ (أَسْلَما) أراد الفعل الماضي "أسلم" وهو فعل ماضٍ ثلاثي مزيد بالهمزة ، فهو على وزن "أفعل". قصد أنهما (فَوَّضا ، وأطاعا)[8]، أي استسلما[9].

---

[1] ينظر الحواشي الأزهرية في حل ألفاظ المقدمة الجزرية ، والدقائق المحكمة في شرح المقدمة في جامع شروح المقدمة الجزرية : 90 – 91.
[2] ينظر شرح تصريف الزنجاني : 26.
[3] المحتسب : 2 / 222.
[4] القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب : 561 – 562.
[5] المحرر الوجيز : 4 / 481 ، وينظر البحر المحيط : 7 / 355.
[6] تاج العروس من جواهر القاموس : 32 / 384.
[7] الكشاف : 4 / 52.
[8] المحتسب : 2 / 222.

استسلما[1]. و(اتفقا على أمر واحد)[2]. وهو فعل متعد ، ومفعوله محذوف ، والمعنى : أسلما (أنفسهما ، واستسلما لله ﷻ)[3]. أي : لأمره[4]. فإنهما (سلما لله تعالى الأمر)[5]. وقال قتادة :(في "أسلما" أسلم هذا ابنه ، وأسلم هذا نفسه)[6]. وقد عبر عن هذا المعنى بألفاظ مختلفة ، قال ابن عباس : (أسلم إسماعيل صحبته ونفسه لله ، وأسلم إبراهيم ابنه وبكره واحده لله. وعلى هذا الإسلام بمعنى الترك)[7]. وبذلك وبذلك يكون الفعل ("أسلم" متعديًا وغيره جعله لازمًا بمعنى انقادا لأمر الله ، وخضعا له)[8].

وقيل : إن الكلمتين بمعنى ، فيكون معنى (أسلم أمره إلى الله ﷻ. أي : سلمه ، وفَوَّضَهُ)[9]، يقول الطاهر بن عاشور :(سَلَّم ، واستسلم ، وأسلم بمعنى : انقاد ، وخضع. وحذف المتعلق لظهوره من السياق أي : أسلما لأمر الله ﷻ)[10]. وجاء (عن مجاهد ﷺ: ﴿ z Ó ÷ ë ¡ ¡ 9 $ # ç my è t B x ÷ n = t / $ ¬ Hs> sù ... Ç Ê É Ë È ﴾ قال : لما شب حتى أدرك سعيه إبراهيم في العمل ﴿ Ç Ê É Ì È ... $ y J n = ó ™r & ! $ £ J n = sù ﴾ ، قال : سلما ما أُمِرا به)[11].

يحتمل حمل الفعلين على المعاني المتنوعة التي سبق ذكرها في بحث القراءتين ؛ فكلها معانٍ ملائمة للسياق الذي وردت فيه الكلمة والجملة. وذلك نوع من الثراء الدلالي الذي تحويه الكلمة القرآنية بقراءاتها المختلفة.

---

[1] ينظر التحرير والتنوير: 23 / 152.
[2] النكت والعيون : 5 / 61.
[3] المحرر الوجيز : 4 / 481.
[4] ينظر البحر المحيط : 7 / 355.
[5] النكت والعيون : 5 / 61.
[6] البحر المحيط : 7 / 355.
[7] التفسير البسيط : 19 / 89.
[8] البحر المحيط : 7 / 355.
[9] تاج العروس : 32 / 386 ، وينظر التفسير الكبير : 26 / 157 ، وحدائق الروح والريحان : 24 / 237.

[10] التحرير والتنوير : 23 / 152 ، وينظر الكشاف : 4 / 52.
[11] تفسير ابن أبي حاتم (تفسير القرآن العظيم): 9 / 3221.

ويحتمل أن يكون "سَلَّما" مثل "أَسْلَما" في المعنى[1]. وأصل الفعلين كليهما "أسلم" و("سَلَّمَ" لفلان إذا خَلُصَ له ؛ فإنه سَلِمَ من أن يُنازَع فيه)[2]. ويكون المعنى – على هذا الاحتمال -(أسلما أنفسهما إلى أمر الله ، وهو الذبح)[3]. فيكونان قد (ألقيا (ألقيا بالفعل على غاية الإخلاص حين المباشرة بجميع قواهما في يد الأمر ، ولم يكن عند أحد منهما شيء من إباء ولا امتناع ولا حديث نفس في شيء من ذلك)[4].

ووجه الشبه بين الفعلين "سَلَّما" و "أَسْلَما" يرجع إلى أمرين بحسب المكونات الدلالية التي تتشكل منها الدلالة الصرفية لهما على ما يأتي تبيينه :

أولًا : إن كلا الفعلين مشتق من الأصل الثلاثي نفسه ، وهو "سَلِمَ"، فهما مشتركان في الدلالة المعجمية للجذر.

ثانيًا : كلاهما فعل ماضٍ مزيد بحرف واحد : الأول مزيد بالتضعيف ، والثاني مزيد بالهمزة في أوله ؛ وكلا الزيادتين تؤديان معنى التعدية. وبذلك اتحدا في الدلالة الصرفية كما اتحدا معجميًا في أولًا. والمفعول به محذوف.

فإذا ما أضفنا إلى هذا التشابه اتحاد السياق الذي ورد فيه الفعلان فهما كلمة قرآنية قُرِأَت قراءتين في آية واحدة فإننا نتمكن بذلك من حمل إحدى القراءتين على معنى الأخرى من دون صعوبة أو تأويل.

[1] التفسير البسيط : 19 / 89.
[2] روح المعاني : 23 / 130.
[3] الغريبين في القرآن والحديث : 3 / 923 ، وينظر زاد المسير في علم التفسير : 7 / 75.
[4] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : 16 / 265.

2 – المزيد بهمزة في أوله على وزن (أفْعَلَ)

قـــرأ الإمـــام الصـــادق عليه السلام قولـــه تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [الأنعام : 33]

بتخفيف الذال.

وبها قرأ النبي صلى الله عليه وسلم ونافع والكسائي والأعشى عن أبي بكر عن عاصم وعلي وزيد بن علي والأعمش رضي الله عنهم[1].

---

[1] ينظر السبعة في القراءات : 257 ، والجامع لأحكام القرآن : 6 / 415 ، والتيسير في القراءات السبع : 102 ، ومجمع البيان : 2 / 293 ، وجامع البيان : 11 / 330 ، والتبيان في إعراب القرآن : 1 / 139

الكلمة القرائية (يُكْذِبونَك) ي ـُـ ك / ذ ـِـ / ب ـُـ / ن ـَـ ك

الكلمة المصحفية (يُكَذِّبونَك) ي ـُـ / ك ـَـ ذ / ذ ـِـ / ب ـُـ / ن ـَـ ك

يتجلى الفرق بين القراءتين بكتابتهما كتابة مقطعية كما سبق وهي في حال الوقف. الفرق بين الكلمة على القراءتين أنها على قراءة الإمام تتكون من أربعة مقاطع : الأول طويل مغلق والثاني والثالث من نوع القصير المفتوح والرابع طويل مغلق. أما على قراءة المصحف فإنها تتكون من خمسة مقاطع الأول قصير مفتوح والثاني طويل مغلق والثالث قصير مفتوح والرابع طويل مفتوح والخامس طويل مغلق.

الملاحظ أن المقاطع الثلاثة الأخيرة متشابهة في القراءتين من ناحية أنواع المقاطع ومن ناحية الأصوات التي تمثل قواعدها وقممها. ويزاد على هذه الثلاثة في قراءة الإمام مقطع طويل مغلق في حين أن في قراءة المصحف مقطع قصير مفتوح يتلوه طويل مغلق.

فمن قرأ بتخفيف الذال في (يُكْذِبونَكَ) أراد الفعل (أَكْذَب – يُكْذِب)، وهو فعل ثلاثي مزيد بالهمزة في أوله ، فهو على وزن (أَفْعَل – يُفْعِل) ؛ وقد دلنا على ذلك ضم حرف المضارعة ، فإنه يضم في الفعل الرباعي. ولزيادة الهمزة مجموعة من المعاني في العربية. والذي يمكن حمل الآية عليه ثلاثة معاني نذكرها في ما يأتي :

1 – (لا يجدونك كاذبًا)[1]. وهذا معنى من معاني زيادة الهمزة ، أكذبته وجدته كاذبًا. ومعلوم أن من معاني الزيادة وجود المفعول على صفة ، (كما تقول : أحمدته إذا وجدته محمودًا)[2].

2 – لا يتهمونك باختلاق الكذب بل بروايته. يقول ابن خالويه :(لا يكذبونك في نفسك ولكن يكذبونك في ما تحكيه عن الله ﷻ)[3]. يقال : (أكذبت الرجل ، أخبرت

، ومعاني القرآن للفراء : 1 / 331 ، والكشف عن وجوه القراءات السبعة وعللها وحججها : 1 / 430 ، والبحر المحيط : 4 / 111 ، والنشر في القراءات العشر : 2 / 258 ، إتحاف فضلاء البشر : 207.

[1] كشف المشكلات وإيضاح المعضلات في إعراب القرآن وعلل القراءات : 233.

[2] إعراب القرآن : 1 / 330 ، وينظر قراءة الإمام علي ﷺ القرآنية : 37.

[3] الحجة في القراءات السبع : 73.

أنه جاء بالكذب ، ورواه)[1]. والمعنى :(أن الذين كانوا يعرفون حقيقة نبوتك وصدق قولك في ما تقول ويجحدون أن يكون ما تتلوه عليهم من تنزيل الله ، ومن عند الله قولًا ، وهم يعلمون أن ذلك من عند الله علمًا صحيحًا)[2]. تشهد لذلك رواية أسباب النزول للآية. (قال أبو ميسرة : إن رسول الله ﷺ مر بأبي جهل وأصحابه ، فقالوا : يا محمد ، إنا - والله - لا نكذبك ، وإنك عندنا لصادق ! ولكن نكذب ما جئت به)[3].

3 – لا يُبَيِّنون كذبك. (يقال : أكذبتُهُ إذا احْتَجَجْتُ عليه ، وبَيَّنْتُ أنه كاذب)[4]. وقد كان الكافرون يتحذرون من اتهام الأنبياء عليهم السلام بالكذب ، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى يختارهم من الذين اشتهروا بين أقوامهم بالصدق ، فمن يتهمهم بالكذب يسقط نفسه أمام قومه ، وكانوا يستعملون معهم الفعل (أظن) كما قال فرعون عن موسى عليه السلام:

﴿... r u) Î T o Î ' {V ß à Z 'm ç¼ 2Ÿ » ‹ É / \ $ 4 ... È Ð Ì Ç﴾ [غافر : 37].

ومن قرأ (يُكَذِّبونَكَ) بتشديد الذال قصد أنه من الفعل (كَذَّبَ – يُكَذِّبُ)، وحجته (أنه أراد: لا يجدونك كاذبًا لأنهم ما كانوا يشكون في صدقه ... ولكنهم يكذبون بما جئت به)[5].

وقد يراد بـــ (كَذَّبَهُ) (جعله كاذبًا في زعمه)[6]، أي : زعم أنه كاذب. وقد يراد (أخبرت أنه كاذب)[7]؛ فهم (لا يكذبون رسول الله ﷺ إلا عنادًا ، لا جهلًا بنبوته وصدق لهجته)[8]. يشهد لهذا المعنى ما روي في أسباب النزول ،(قال السدي : التقى الأخنس بن شريق وأبو جهل بن هشام ، فقال الأخنس لأبي جهل : يا أبا الحكم أخبرني عن محمد ، أصادق هو أم كاذب ؟ فإنه ليس ههنا من يسمع كلامك غيري !

[1] معاني القرآن للنحاس : 1 / 330.
[2] جامع البيان : 5 / 180.
[3] أسباب النزول للواحدي : 188.
[4] معاني القرآن للنحاس : 1 / 330.
[5] الحجة في القراءات السبع لابن خالويه : 73.
[6] الكشاف : 2 / 17.
[7] جامع البيان : 5 / 180.
[8] جامع البيان : 5 / 180.

فقال أبو جهل : والله إن محمدًا لصادق ، وما كذب محمد قط ؛ ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة ، فماذا يكون لسائر قريش ؟)[1].

أو المعنى (لا ينسبونك إلى الكذب أي : لا يعرفونك بهذه الصفة)[2].

وملاحظ على آراء العلماء – حين يذكرون القراءتين سوية – وضوح بعض التمييزات الواضحة على النحو الآتي :

أولًا : وجدته أو قلت عنه (أكذبت الرجل ألفيته كاذبًا ، وكذّبته إذا قلت له : كذبت)[3].

ثانيًا : رواية الكذب والإخبار به ، قال الطبري (أكذبت الرجل إذا أخبرت أنه جاء بالكذب ، ورواه ، قال : ويقولون : كذّبته إذا أخبرت أنه كاذب)[4].

ثالثًا : قول الراغب :(أكذبته وجدته كاذبًا ، وكذَّبته نسبته إلى الكذب ، صادقًا كان أو كاذبًا)[5].

ومن كل ما سبق من الآراء يتبين لنا أن القراءتين معنياهما متقاربان ، والتمييز بينهما من الصعوبة بمكان حتى عند هؤلاء الأفذاذ من العلماء ؛ لذلك قال القرطبي : (هما بمعنى واحد ، كحزَّنته ، وأحزنته)[6]. وبعد التمحيص بين ما قيل في التمييز بينهما نجد أن الفعلين كليهما من نوع الثلاثي المزيد: الأول مزيد بالهمزة (أَكْذَبَ) ، والثاني مزيد بالتضعيف (كَذَّبَ). والفعلان – في هذا الموضع - تحولا بهاتين الزيادتين إلى فعلين متعديين من الناحية النحوية[7].

اشتركت الصيغتان "أَفْعَل" و "فَعَّل" في الدلالة على معنى التعدية[8]. والفعل (كَذَبَ) قبل الزيادة استعمل لازمًا ، واستعمل متعديًا : فمن استعماله لازمًا قوله ﷻ:

---

[1] أسباب النزول للواحدي بهامش المصحف الشريف : 188.
[2] كشف المشكلات : 233.
[3] الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) : 990.
[4] جامع البيان : 5 / 180.
[5] المفردات : 429.
[6] الجامع لأحكام القرآن : 6 / 359.
[7] الفعل (كَذَّبَ) قد يستعمل متعديًا كما في قوله ﷻ: ﴿وكَذَّبَ به قومك وهو الحق﴾ أي : إنكروه وجحدوه. [ينظر الكليات : 648]
[8] ينظر شرح الشافية : 1 / 83.

“ t s? Ï p y J » u Š É) ø9 $ # t P ö q t ƒ u r ﴿
« ! $ # ’ n? t ã (# q ç / x ‹ x . š ú ï Ï %©! $ #
’ Î û }§ø Š s9 r & 4 î o ¨ Š u q ó ¡ • B Nß g è d q ã _ ã r
Ç Ï É È š ú ï Î Ž É i 9 s3 t Gß J ù= Ï j 9 “ Yq ÷ Vt B z O¨ Yy g y _
u ä ! %y ` u r ﴾ [الزمر : 60]، ومن استعماله متعديًا قول الله ﷻ: ﴿
É > # { ô ã F { $ # š Æ Ï B t b r â ‘ É j ‹ y è ß J ø9 $ #
t ûï Ï %©! $ # y %‰y è s%u r ö Nç l m; t b sŒ÷ sã ‹ Ï 9
4 ¼ã & s! q ß ™u ‘ u r ©! $ # (# q ç / x ‹ x .
ö Nåk ÷] Ï B (# r ã x ÿ Ÿ2 t ûï Ï %©! $ # Ü= Š Å Á ã y ™
Ç Ò É È Ò O Š Ï 9 r & ë > # x ‹ t ã ﴾ [التوبة : 90].

ويبدو أن (أَكْذَبَ) مقصود به إكذابهم للنبي ﷺ جملة واحدة ، أما (كَذَّبَ) فمقصود به تكرار التكذيب وكثرته ، وهذا المعنى هو المعنى الأساس الغالب في وزن (فَعَّلَ)؛ فقد نص العلماء على أن هذا الوزن يأتي للتكثير غالبًا[1]. فقوله ﷻ: ﴿ لا يُكْذِبونك ﴾ على قراءة التخفيف تعني نفي التكذيب المجمل للنبي ﷺ، وبالتشديد نفي للتكذيب المتكرر المفصل الذي يتكرر بتكرر نزول الوحي على النبي ﷺ. ترشدنا إلى ذلك زيادة التضعيف ، فكلما نزلت آية من القرآن كذبوا بها ، وهو نظير قول الله ﷻ: ﴿ t R “ t A¨ t ã t = n ‹ ø š # $ 9 ø3 Å Gt » = |

t û÷ ü t / $ y J Ï j 9 $] %Ï d ‰| Á ã B È d , y s ø9 $ $ Î /
sp 1 u ‘ ö q - G9 $ # t At “ Rr & u r Ï m ÷ ƒ y ‰t ƒ

u r # $ } UM g Å ‹@ Ÿ È Ì Ç ﴾ [آل عمران : 3] فالقرآن الكريم لما تكرر نزوله مرات عديدة على مدى ثلاث وعشرين سنة استعمل معه (نَزَّلَ)، والتوراة والإنجيل لما نزلتا نزولًا واحدًا استعمل معهما (أَنْزَلَ).

قراءة المصحف تزيد على قراءة الإمام بمقطع قصير مفتوح. مما يجعل قراءة الإمام أخف على جهاز النطق من قراءة المصحف.

وهذا الذي ذهبت إليه يتلاءم مع خفة قراءة الإمام على اللسان إذ إنها تعبر عن فعل الإكذاب المجمل الذي ليس فيه معنى التكرار ، في حين ثقل الكلمة على قراءة المصحف يتلاءم مع العمل الثقيل وهو التكذيب المتكرر. وتكراره مكمن الصعوبة.

---

[1] ينظر شرح الشافية : 1 / 92.

ثانيًا : المزيد بحرفين على وزن "افْتَعَلَ"

وهو الفعل الثلاثي الذي حوى حرفين من حروف الزيادة فضلًا عن أحرفه الثلاثة الأصول. وقد احتوت قراءتا الإمامين على فعلين من هذه المجموعة وكلاهما على وزن (اِفْتَعَلَ). على النحو الآتي :

قرأ الإمام الباقر عليه السلام قول الله عز وجل: ﴿ [illegible]

□ □□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□
□□□□□□□ □□□□□ ﴾ [الأنعام : 145] بتشديد الطاء (يَطَّعِمُهُ).
وبها قرأ علي بن أبي طالب ﵁[1].

الكلمة القرائية (يَطَّعِمُهُ) ي ـَــ ط / ط ـَــ / ع ـِــ / م ـُــ / هـ ـُــ

الكلمة المصحفية (يَطْعَمُهُ) ي ـَــ ط / ع ـَــ / م ـُــ / هـ ـُــ

قراءة الإمام (يَطَّعِمُهُ) بفعل مُثَقَّل الطاء تتكون من خمسة مقاطع : الأول طويل مغلق ، والأربعة بعده من نوع القصير المفتوح. أما قراءة المصحف فتتكون من أربعة مقطع صوتية : الأول طويل مغلق ، والثلاثة بعده من نوع القصير المفتوح. يتبين من ذلك أن قراءة الإمام تزيد على قراءة المصحف بمقطع قصير مفتوح ، هو المقطع الثاني المتمثل بالطاء وفتحتها ؛ لكون الطاء في قراءة الإمام مشددة ، والمشدد حرفان : ساكن فمتحرك. فصار الأول قاعدة ثانية للمقطع الأول ، وأصبحت الطاء الثانية مع فتحتها مقطعا ثانيًا ، فضلًا عن كسر العين بعد ما كانت مفتوحة. والكسرة أقوى من الفتحة من ناحية الجهد العضلي الذي يبذله جهاز النطق.

فمن قرأ (يَطَّعِمُهُ) أراد أنه فعل مضارع من الفعل الماضي (اطَّعَمَ). (وهو "اِفْتَعَل" من "الطعم" مثل "اطَّلَب من "الطلب" و "اطَّرَد" من "الطرد")[2]. وقد حصل إبدال صرفي ، و(الإبدال هو - في اللغة - وضع حرف محل حرف آخر)[3]. والأصل الثلاثي (طعم) ثلاثي سالم. والسالم هو ما سلمت أحرفه الأصلية من أحرف العلة والهمزة والتضعيف[4]. فلما بني على باب "الافتعال" صار (اِطْتَعَم)[5]. على قاعدة (كل فعل ثلاثي مجرد أردت أن تجعله مزيدًا فيه ، فنقلته إلى باب الافتعال ،

---

[1] التبيان في إعراب القرآن : 1 / 153 ، البحر المحيط 4 / 241 ، الجامع لأحكام القرآن 7 / 101 ، وإعراب القرآن للنحاس : 290 ، وينظر معجم القراءات القرآنية : 2 / 329.
[2] الصحاح مادة (طعم) : 701.
[3] المعجم المفصل في علم الصرف : 9.
[4] تصريف الزنجاني : 14.
[5] إعراب القرآن للنحاس : 290.

فجئت في أوله بهمزة وصل مكسورة ، وأسكنت فاء فعله ، وجعلت تاء مفتوحة بين فاء فعله وعين فعله ، يجيء إلى هذا الباب)[1].

قلبت التاء التي للافتعال طاءً لكون الطاء من حروف الإطباق ، وإذا كانت فاء الكلمة حرفًا من حروف الإطباق ، وهي ص ض ط ظ ، وكانت الكلمة مزيدة بتاء الافتعال فأنها تقلب طاءً[2].

وللإبدال ركنان : المبدل منه. وهو تاء الافتعال. والمبدل. وهو الطاء الثانية من المشدد.

يخرج الطاء والتاء (من مخرج واحد ، وهو بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا مُصْعِدًا إلى الحنك)[3]. والطاء من أصوات الاستعلاء والتاء من أصوات الاستفال[4]، فكان من الصعب التلفظ بهما واحدًا تلو الآخر لكونهما من مخرج واحد ، وأحدهما مستعل ، والآخر مستفل. ويصعب على اللسان الانتقال بين الصفتين الاستعلاء والاستفال والمخرج واحد. فمن يتلفظ الصوتين معًا كمن يمشي مقيدًا فيضع قدمه في الموضع نفسه الذي وضع فيه قدمه السابقة ؛ وهذا من الصعوبة بمكان ، لذلك لزم تحويل أحدهما إلى الآخر ، ليعمل جهاز النطق عملًا واحدًا. فتحول التاء إلى طاء ، ولم يتحول الطاء إلى تاء ؛ وذلك لأن الطاء من الحروف الأصول في الكلمة ، فهو فاؤها من جهة ، فضلًا عن أن (الطاء) أقوى من (التاء) ؛ لكونه من حروف الاستعلاء والجهر والإطباق والقلقلة ، وهي من صفات القوة في الصوت. أما التاء فهو من أصوات الاستفال والهمس والانفتاح ، ولا قلقلة فيه ؛ وهذه من صفات الضعف من جهة أخرى. وبذلك أصبح الفعل (اِطْطَعَم) ، فلما توالى في الكلمة حرفان : الأول ساكن ، والثاني متحرك. وجب الإدغام ، وهذا من مواضع وجوبه[5]. فجعلا حرفًا واحدًا مشددًا هو الطاء المشدد ، فصار الفعل

---

[1] شرح تصريف الزنجاني : 34.
[2] ينظر تصريف الزنجاني :71 – 72 ، والتطبيق الصرفي : 145.
[3] التحديد في الإتقان والتجويد : 105.
[4] الاستعلاء خروج صوت الحرف من أعلى الفم والاستفال من أسفله. وهما من صفات الحروف وأحرف الاستعلاء هي خ ، ص ، ض ، غ ، ط ، ق ، ظ . وبقية الحروف مستفلة. [ينظر المعجم المفصل في علم الصرف : 79]
[5] ينظر إعراب القرآن الكريم وبيانه : 2 / 478.

(اِطَّعَم). وجدير بالذكر أن صفة القلقلة تختفي من الطاء الأولى عند الإدغام. ومضارعه (يَطَّعِمُ) ووزنه "يَفْتَعِل".

الفعل - كما سبق - تحول من صورته الأولى إلى صورته الأخيرة في القراءة عبر مراحل أربع على وفق طريق السير الذي شرح آنفًا ، ويمكن اختصاره في ما يأتي :

1	2	3	4
طَعِمَ	- اِطْتَعَم	– اِطْطَعَم	- اِطَّعَم

وليس بسديد ما جاء في تفسير القرطبي أن من قرأ (يَطَّعِمُهُ) (أراد "يَتطعمه"، فأدغم)[1]. ولعله من أخطاء النُّسّاخ ، أو من أخطاء الطباعة.

فإن وزن كلمة (يَطَّعِم) هو "يَفْتَعِل"، وهو وزن يدل على الاجتهاد والطلب ، ويسمى أيضًا التكلف والتصرف والمبالغة في معنى الفعل[2]. فمعنى (اطَّعَم) هو اجتهد في الطعم ، وطلبه ، وبالغ فيه. ساق الله ﷻ في سياق الآيات السابقة التشريعات الجاهلية التي وضعها الجاهليون من عند أنفسهم وشددوا بها على أنفسهم من غير أن تكون وحيًا ربانيًا. وذكر هذا الاشتقاق على هذه القراءة لمجموعة من العلل البلاغية[3]:

أولاها : الصعوبة تناسب ما في أكل الحرام من مخالفة للأعراف والفطر السليمة مما يدعو آكل الحرام إلى الاحتيال فيها والتكلف[4].

ثانيها : الكلفة التي يدل عليها الوزن تتناسب مع شدة أكل الحرام لما يؤول إليه من عقوبة في الدنيا وفي الآخرة[5].

ثالثها : أنه لما كان أكل الحرام مما تشتهيه النفس ، وهي منجذبة إليه ، وأمارة به كانت في تحصيله أعمل وأجد[6].

---

[1] الجامع لأحكام القرآن : 7 / 101.
[2] ينظر الكتاب : 2 / 241 ، وشرح الشافية : 108 ، وشذا العرف في فن الصرف : 52 ، والتطبيق الصرفي : 34.
[3] تم تلخيص هذه العلل قياسًا على العلل في الفعل (اكتسب).
[4] ينظر الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم :: 130.
[5] ينظر الدر المصون : 1 / 697.
[6] ينظر الكشاف : 1 / 172.

ومن قرأ (يَطْعَمُهُ) فإن الكلمة فعل مضارع فعله الماضي (طعم). ومعناه (يأكله)[1]، وهو ثلاثي صحيح مجرد سالم.

يمكن تلمس معنى الفعل من جرس أصواته على طريقة الخليل وسيبويه وابن جني ، وهذا مما يكون الاستئناس به. وابن جني بعدما عقد بابًا في إمساس الألفاظ أشباه المعاني يقول : (نعم ، ومن وراء هذا ما اللطف فيه أظهر ، والحكمة أعلى وأصنع. وذلك أنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف ، وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبر عنها بها ترتيبَها ، وتقديم ما يضاهي أول الحدث ، وتأخير ما يضاهي آخره وتوسيط ما يضاهي أوسطه. سوقًا للحروف على سَمْتِ المعنى المقصود والغرض المطلوب)[2]. وبالتفكر والتأمل تم التوصل إلى تحليل الفعل على وفق مذهب الخليل وسيبويه وابن جني على النحو الآتي :

الفعل ثلاثي الأحرف (طعم) الأول من أحرفه الطاء فيه يطرق سطح اللسان الشَّجْر[3]؛ كأنه يتذوق المأكول. والثاني العين ومخرجه من الحلق ؛ كأنه ابتلاع المأكول. والثالث الميم ومخرجه الشفتان ؛ فكأنه ابتلاع الريق بعد اللقمة إظهارًا للتلذذ بها.

فكان فاء الفعل وهو الحرف الأول (الطاء) وما يدل عليه علامة على ما كان أول ما في العمل وهو التذوق. وعين الفعل وهو الحرف الثاني (العين) وما يدل عليه علامة على ما يكون ثانيًا في العمل وهو الابتلاع. ولام الفعل وهو الحرف الأخير (الميم) وما يدل عليه علامة على ما كان أخيرًا في العمل وهو ابتلاع الريق بعد اللقمة وإظهار التلذذ بها. والله ﷻ أعلم.

[1] تفسير القرآن العظيم : 2 / 229.
[2] الخصائص : 1 / 512.
[3] ينظر أسباب حدوث الحروف : 79.

قــرأ الإمــام الصــادق ﷺ قــول الله ﷻ: ﴿ [illegible] **﴾** [يوسف : 12] بكسر العين ﴿ يَرْتَعِ ﴾.

وبها قرأ نافع وابن كثير وأبو جعفر ﷺ[1].

على قراءة الإمام ﴿ يَرْتَعِ ﴾ يُحَرَّك آخر الكلمة - وهو العين - بحركة الكسرة. (فأما المحرك من الحروف بالحركات الثلاث الفتحة والكسرة والضمة ، فحقه أن يلفظ به مشبعًا ، ويؤتى بالحركات الثلاث كواملَ من غير اختلاس ولا توهين ، يؤولان إلى تضعيف الصوت بهن ، ولا إشباع زائد ، ولا تمطيط بالغ ، يوجبان الإتيان بعدهن بألف وياء وواو غير ممكنات ، فضلًا عن الإتيان بهن ممكنات)[2].

قراءة الكسر تؤثر في النظام المقطعي للكلمة على النحو الآتي :

الكلمة القرائية (يَرْتَعْ) / ي ـَـ ر / ت ـَـ ع /

الكلمة المصحفية (يَرْتَعِ) / ي ـَـ ر / ت ـَـ / ع ـِـ /

الذي حصل هو تحول المقطع الثاني - وهو مقطع طويل مغلق - إلى مقطعين قصيرين مفتوحين ؛ فقد انتقلت القاعدة الثانية - وهي العين - لتصبح قاعدة لقمة الكسرة ، ولتشكل معها مقطعًا قصيرًا مفتوحًا ، وتخلف خلفها في المقطع الذي كانت فيه مقطعًا قصيرًا مفتوحًا ؛ يتكون من قاعدة التاء ، وقمة هي فتحتها.

قراءة السكون ﴿ يَرْتَعْ ﴾ الحرف الساكن فيها (حقه أن يُخلى من الحركات الثلاث ، ومن بعضهن من غير وقف شديد ، ولا قطع مسرف عليه ، سوى احتباس اللسان في موضعه قليلًا في حال الوصل)[3]. وهذه القراءة أسهل على جهاز النطق من قراءة الكسر من ناحيتين : ناحية ظاهرة هي زيادة صوت جديد إلى السلسلة

---

[1] ينظر معاني القرآن للفراء : 2 / 38 ، وجامع البيان : 12 / 94 ، والسبعة : 45 ، وإعراب القرآن للنحاس : 2 / 127 ، والحجة في القراءات السبع لابن خالويه : 193 ، والكشف : 2 / 6 ، والتيسير : 128 ، والكشاف : 2 / 306 ، مجمع البيان : 5 / 213 ، والتفسير الكبير : 18 / 96 ، 97 ، والجامع لأحكام القرآن : 9 / 139 ، والبحر المحيط : 5 / 285 ، والنشر في القراءات العشر : 2 / 293 ، وإتحاف فضلاء البشر : 262 ، وغيث النفع : 255.

[2] التحديد في الإتقان والتجويد : 97.

[3] التحديد في الإتقان والتجويد : 97.

المنطوقة ، وهو صوت الكسرة. والناحية الثانية تكاد تكون خفية هي أن الكلمة مع السكون تتكون من مقطعين ، في حين أن الكلمة مع الكسر تتكون من ثلاثة مقاطع. ومن ناحية أخرى فإن قراءة السكون تتناسب صوتيًا وصرفيًا مع الفعل المعطوف عليها (يَلْعَبْ)؛ فالفعلان متطابقان صوتيًا وصرفيًا ، فضلًا عن تطابقهما النحوي من ناحية المحل ، وهو الجزم ؛ فإن الفعلين متطابقان نحويًا ؛ أي : إنهما مجزومان كليهما ، ولكنهما مختلفان من الناحية الصوتية والصرفية ، وفي علامة الإعراب ؛ فالفعل (يَرْتَعْ): فعل مضارع مجزوم ، وعلامة جزمه السكون لأنه صحيح الآخر، والفعل - على القراءة الثانية - (يَرْتَعِ) فعل مضارع مجزوم ، وعلامة جزمه حذف حرف العلة (الياء) ، والكسرة للدلالة على الياء المحذوفة ، وأصل الفعل في حالة الرفع (يَرْتَعِيْ).

ومن قرأ بالكسر (يَرْتَعِ) قصد أنه من (ارتعى - يرتعي)[1] فأصل الفعل (إثبات الياء فيه ، فحذفها دلالة على الجزم ؛ لأنه جواب للطلب في قولهم : أرسله معنا ، فبقيت العين على الكسر الذي كانت عليه)[2]. يكون الفعل الماضي منه (ارْتَعى) ، وهو ثلاثي مزيد : بالهمزة في أوله ، والتاء بعد فائه ، وهو على وزن (افْتَعَلَ - يَفْتَعِلُ)، ويكون معنى وزن (افْتَعَلَ) الاجتهاد والطلب ، وهذا المعنى يعد أحد معاني هذا الوزن[3]. ومصدره (الارتعاء "افتعال" من رعيت ، مثل : شريت ، واشتريت ، وكل واحد منهما متعدٍّ إلى مفعول به)[4]. والمعنى (يرعى غنمه ، وينظر ، ويعقل ،فيعرف ما يعرف الرجل)[5]. يرى القرطبي أن معناه مأخوذ (من رعي الغنم ، أي : ليتدرب بذلك ، ويترجل : فمرة يرتعي ، ومرة يلعب لصغره)[6]، فالفعل (يرتعي) يعني : أنه يجتهد ، ويطلب الرعي مع مشقته عليه ؛ لأنه لما كان صغيرًا ، فإن

[1] الكشاف : 2 / 431.
[2] الحجة في القراءات السبع لابن خالويه : 110.
[3] ينظر شذا العرف في فن الصرف : 52.
[4] أسرار القرآن وأنوار الفرقان ورقة : 486.
[5] جامع البيان : 7 / 156.
[6] الجامع لأحكام القرآن : 9 / 115 ، وينظر الحجة في القراءات السبع لابن خالويه : 110.

الرعي شاق عليه ، فعليه الاجتهاد في محاولة إتقانه وبذل الجهد. يذكر علماء التربية أنه يجب أن يراعى في التربية أن يمنع الطفل من الميوعة[1]، الأمر الذي يعد أهم مراد للأب نحو ابنه. وقد ساقوه حجة لإقناع الأب ليأذن له بالذهاب معهم. لذلك كان هذا الوزن. والله ﷻ أعلم.

فإذا أراد إنسان إتقان مهارة ما فعليه بحمل نفسه على أدائها ، وتكرار هذا الأداء لأن (تكرار عمل معين يسهل تعديله وتنظيمه عند الشخص المتعلم ، وبعبارة أخرى : إن التكرار يولد الكمال)[2]. وهذا جزء من التنشئة الاجتماعية ، وعنصر مهم من التربية العملية على المهارات المختلفة ؛(فالمهارة يجب أن تتصف بالإتقان ، وهذا الإتقان يجب أن يصبح تدريجيًا عادة)[3].

وكأنهم يقولون لأبيهم إن ترسله معنا فسيحصل على شيئين : الأول التدريب على الرعي ، وما يتضمنه من الرجولة والتربية العملية. والثاني اللعب لكونه صغيرًا لا يستطيع أن يكون في عمل جاد دائمًا ، وإنما لا بد له من بعض اللعب ، ليستعين به على كثير من الجد.

أما على قراءة السكون فيكون الفعل المضارع (يَرْتَعْ) مأخوذًا من فعله الماضي (رَتَعَ)، وهو ثلاثي مجرد من الباب الثالث (فَعَلَ – يَفْعَلُ)، كان الفعل على هذا الباب فيجب في هذا الباب أن يكون عينه أو لامه أحد حروف الحلق ، وحروف الحلق هي: (الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء)[4]. وجدير بالذكر أن (كل ما كانت عينه مفتوحة في الماضي والمضارع فهو حلقي العين أو اللام ، وليس كل ما كان حلقيًا كان مفتوحًا فيهما)[5]. شذ عن ذلك بعض الأفعال.

الفعل (يَرْتَعْ) معناه يلهو في ماله وينعم. فالكلمة (من قولهم : رتع فلان في ماله إذا لها فيه ونَعِمَ)[6]. والأصل في الرتع للبهائم ، ويستعار للإنسان إذا أريد به الأكل

---

[1] التربية : 48.
[2] علم النفس التربوي : 80.
[3] التربية : 93.
[4] - شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد : 35 – 36.
[5] شذا العرف في فن الصرف : 31.
[6] جامع البيان : 7 / 155 ، وينظر الحجة في القراءات السبع لابن خالويه : 110.

الكثير[1]. قال الجوهري :(رتعت الماشية ترتع رتوعًا : أي أكلت ما شاءت ، ويقال : خرجنا نرتع ونلعب ، أي : ننعم ونلهو)[2].

ومحصلة دلالة الفعل (يَرْتَعْ) أن معناه يلهو وينعم ؛ بأن يأكل الأكل الكثير مما يشاء ، فإنه من ضمن أصناف التنعم. ولذلك فهو متضمَّن فيه.

إن كلمة (يَرْتَعْ) استعيرت من أكل البهائم - كما سبق – فهذه الاستعارة من أكل البهائم فيها نلمح الأكل الكثير ، أي : كأنهم يلمحون إلى أن يعقوب عليه السلام إن أرسله معهم فسيأكل كثيرًا ، وهذا هدف من أهداف الآباء إزاء أبنائهم ، بأن يأكلوا جيدًا ؛ الأمر الذي يتوقف عليه نمو الأطفال. فضلًا عن أنه سيأكل من كل ما يشاء ، وبذلك يحصل على تنوع الأطعمة التي سيأكلها ، فيكون غذاؤه متكاملًا ليحصل على كل ما يحتاج إليه من العناصر الغذائية الموجودة في الأطعمة المختلفة ، وهذا ركن ركين من أركان التربية الجسمية[3]. فقد قدموا كل ما يمكن إقناع والدهم ليوافق على إرساله معهم ؛ فإنه سيحصل على اللهو والتنعيم والأكل الكثير من كل ما يشاء. وكان هذا الأمر من ضمن ما اقتنع به النبي يعقوب عليه السلام من العروض ، وأرسله معهم.

ويحسن هذه الاستعارة ، ويجملها كونها مسندة إلى طفل مع ما يجب له من الدلال والتنعيم. كل تلك الخفايا واللطائف احتوتها هذه الاستعارة ، وفي الاستعارة (خفايا ولطائف تبرز من حُجُبِها بالرفق والتدريج والتلطف والتأني)[4]. هذا على الاستسلام للقول بالاستعارة. ويمكن أن يكون هذا شأن الكلمة في أول عهدها ؛ لكنها بعد ذلك تطورت لتشمل الإنسان والحيوان ، فأصبحت الكلمة دالة على أكل الإنسان والحيوان كليهما دلالة حقيقية في كليهما.

وبذلك فكأنهم يقولون لأبيهم إن ترسله معنا فسيحصل على الدلال ؛ فإنه سيكون مدللًا يلهو ، وينعم ، ويأكل مما يشاء ، ويلعب.

---

[1] ينظر المفردات في غريب القرآن : 193.
[2] الصحاح مادة (رتع): 424.
[3] ينظر التربية : 47.
[4] أسرار البلاغة : 68.

المبحث الثاني : الأسماء

يعرف الاسم بأنه : (ما وضع ليدل على معنى مستقل بالفهم ليس الزمن جزءًا منه)[1]، تنقسم الأسماء في العربية بحسب حركات أواخرها قسمين : معربة ومبنية[2]، ومعلوم لدارسي الصرف أن الأسماء المبنية لا تدخل في علم الصرف ؛ فإن الصرف (يختص بالأسماء المتمكنة والأفعال المتصرفة)[3]، فيبقى ميدان علم الصرف مقصورًا على المعرب في مبحث الأسماء. والتغيرات التي طرأت على الكلمات في قراءتي الإمامين يمكن تقسيمها إلى مطلبين :

[1] شذا العرف في فن الصرف : 19 ، وينظر المعجم المفصل في علم الصرف : 80.
[2] ينظر قطر الندى وبل الصدى : 13.
[3] شذا العرف في فن الصرف : 17.

المطلب الأول : الأسماء بحسب العدد. والمطلب الثاني : الأسماء المشتقة.

اختلف العلماء في أصل المشتقات ؛ فذهب البصريون إلى أن المصدر أصل المشتقات. وعند الكوفيين إن الفعل الماضي هو أصل المشتقات. وكل من الفريقين له أدلته[1]. ولسنا هنا بصدد حسم هذا النزاع أو ترجيح أحد الرأيين. فمهما يكن أصل المشتقات فإننا نريد أن نأخذ من ذلك كون العربية لغة اشتقاقية تشتق فيها الكلمة من الكلمة. وقد يؤدي اختلاف القرّاء في قراءة كلمة إلى تغيُّر في صيغتها. ومعلوم أن (أي تحول في الصيغة يؤدي حتمًا إلى تغيير في محتوى الدلالة)[2]، وهذا القانون في الغالب ، وليس مطلقًا إذ إن الاختلاف بين القراء حين يقع في الأسماء قد يكون ناجمًا عن انزياح صرفي لا يتبعه انزياح دلالي ، أي : إنه يقع في تغيُّر وزن الكلمة من دون أن ينقلها من نوع إلى نوع آخر من المشتقات ، وهذا النوع من الانزياحات يقرب من كونه ظاهرة صوتية ، مع كونه واحدًا من مباحث الصرف ؛ لكونه يتعلق بتغير وزن الكلمة. كما في اختلاف القراء في ضبط الطاء في كلمة (خُطوات) ؛ فإن منهم من قرأها بالضم ، ومنهم من قرأها بالسكون. وقد ذكر سيبويه الكلمة بالضم وبالسكون ، ولم يخرجها ذلك من حيز الدلالة على جمع المؤنث السالم[3]. لذلك ارتأى الباحث تسمية هذا الفصل باسم الصيغ والأوزان.

وقد كثرت الأسماء المشتقة في اللغة العربية ، وتنوعت تنوعًا كبيرًا ، فمنها اسم الفاعل وصيغ المبالغة واسم المفعول والصفة المشبهة واسم التفضيل ... إلخ. نتيجة لتشابه المشتقات المختلفة في الحروف الأصول فإن الكلمة القرآنية قد تنتقل من مشتق إلى مشتق آخر نتيجة لاختلاف القرّاء في قراءتها. وذلك بانزياح صوتي ؛ قد يكون في حركة أو حرف. الأمر الذي يؤدي إلى انزياح صرفي ، وهذا الانزياح في بنية الكلمة قد يخرجها من نوع إلى نوع آخر من المشتقات ؛ كأن تخرج من اسم الفاعل إلى اسم المفعول. دون أن يختل النظام الدلالي المحكم الذي يعد من أهم مميزات الجملة القرآنية. فالكلمة - على القراءة الأولى - متسقة مع الجملة اتساقًا

[1] ينظر الإنصاف في مسائل الخلاف : 1 / 135.
[2] أبنية المبالغة ودلالاتها في القرآن الكريم : 28.
[3] ينظر الكتاب : 2 / 182.

تامًا ، والكلمة - على القراءة الثانية - متسقة اتساقًا تامًا أيضًا ؛ ولكن كلًا منها تعطي إشعاعات دلالية باتجاه يختلف عن الإشعاعات الدلالية التي تعطيها الكلمة الأخرى داخل سياقها.

بعد هذه الفرشة التنظيرية ننتقل إلى التغيرات الصرفية التي تجلَّت في قراءتي الإمامين ﷺ.

المطلب الأول : الأسماء بحسب العدد (المفرد والجمع)

تتميز اللغة العربية بكون الكلمات فيها تنقسم ثلاثة أقسام بدل تقسيمها إلى قسمين اثنين في بقية اللغات ؛ وهي المفرد والمثنى والجمع. ويتجلى تميز اللغة العربية في المثنى ، إذ لم نجد هذا القسيم للمفرد والجمع - وهو المثنى - في كثير من اللغات العالمية من مثل : اللغة الألمانية والإنكَليزية والتركية والروسية والفرنسية والكردية[1]. وتختص بالمثنى بعض اللغات كالسنسكريتية والإغريقية من اللغات القديمة ، وبعض الساميات كالعربية[2].

وجدير بالذكر أن هذا التقسيم لغوي صرف ؛ فإن علماء المنطق لا مثنى عندهم ؛ فعندهم أن الشيء إما وحده فيكون مفردًا ، أو مع غيره فيكون جمعًا.

أولًا : المفرد

قرأ الإمامان الباقر والصادق ﷺ قول الله ﷻ: ﴿

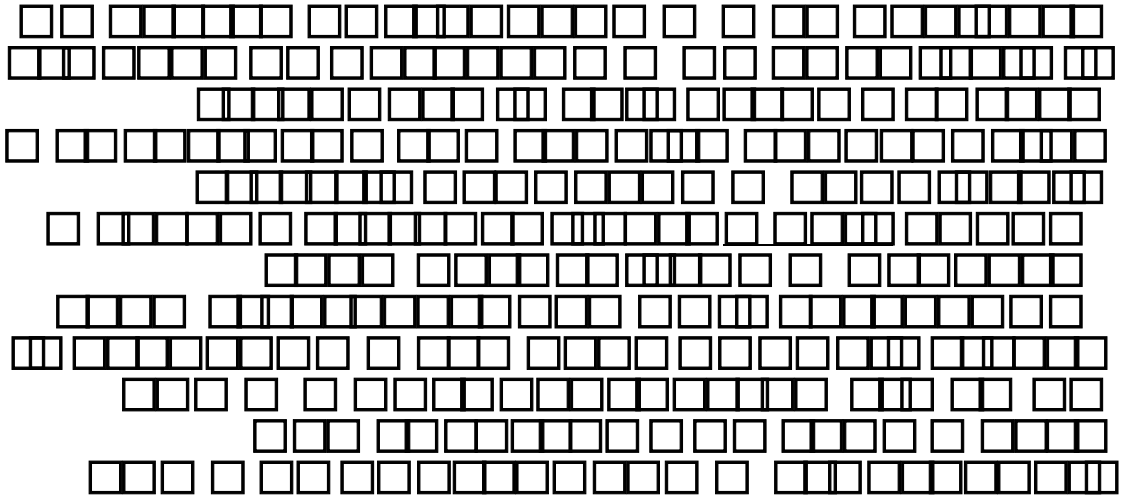

[1] ينظر قواعد اللغة الكردية : 82 – 84 ، والمرشد إلى قواعد اللغة الفرنسية : 29.
ГРАММАТИКА РУССКОГО ЯЗЫКА. С : 26.

[2] ينظر دائرة معارف لاروس نقلًا عن عز الدين التنوخي في مقدمة كتاب المثنى : 8.

□□□□□□ □ □□□ □ □□□□□□ □□□ □□□□ □□□□ ﴾ [المائـــدة : 95] بالإفراد فقرأها ﴿ ذو عدلٍ ﴾.
وهي من انفراداتهما ، فلم يقرأ بهذه القراءة في هذا الموضع غيرهما[1].

لمعرفة البناء الصوتي المقطعي للكلمة على القراءتين لا بد من كتابة الكلمتين كتابة مقطعية على النحو الآتي :

الكلمة القرائية (ذو) / ذ ــُـُ /

الكلمة المصحفية (ذَوا) / ذ ــَـ / و ــَـ /

تتكون كلمة (ذو) من مقطع واحد طويل مفتوح ؛ قاعدته الذال ، وقمته الواو. أما كلمة (ذوا) فتتكون من مقطعين الأول قصير مفتوح ؛ يتكون من قاعدة الذال وقمته فتحتها. والثاني طويل مفتوح يتكون من قاعدة هي الواو نصف المدية ، وقمتها هي الألف. والبحث في أصوات العلة ينطوي على صعوبات في تحديد تسلسل الأصوات لاسيما المركبة منها[2].

إن الفرق بين الكلمتين (ذو) و (ذوا) هو حرف الألف. ولكن هذا الحرف أحدث اختلافًا صوتيًا متعدد الوجوه وهذه الوجوه هي :

الأول : تحول الكلمة من أحادية المقطع إلى ثنائية المقطع.

الثاني : تغير في صوت الواو ؛ فهو- على قراءة (ذو) صوت علة ولين ومد. أي : إنه مصوت في مصطلح المحدثين ؛ لكن حينما دخلت الألف على الكلمة المنتهية بقمة تحول الواو إلى قاعدة لقمة الألف ، وتوالي قمتين ممتنع في النظام الصوتي ، ولما كانت الألف لا تكون إلا قمة ، فقد أتينا بالواو لتكون قاعدة لها ، وبذلك أصبحت الواو نصف مصوت ؛ فهي تقوم مقام الصامت في النظام المقطعي في كونها قاعدة للمقطع ، وبقيت الذال قاعدة لا قمة لها ، فاستقدمت الفتحة لتسد هذا الشاغر الصوتي ، وتكون قمة لقاعدة الذال ، وتُكَوِّن معه مقطعًا قصيرًا مفتوحًا. وقد تم الإتيان بالفتحة لكونها أخف الحركات ؛ فضلًا عن عدم إمكان مجيء الكسرة

---

[1] ينظر المحتسب : 1 / 219 ، ومجمع البيان : 2 / 242 ، والتبيان في إعراب القرآن : 1 / 131 ، والبحر المحيط : 4 / 20 ، ومعجم القراءات للخطيب : 2 / 341.
[2] English Phonetics and Phonology : 38.

سابقة للواو ؛ والضمة صعبة في النطق في مثل هذا الموضع ، فكان الخيار أن تأتي الفتحة حركة للذال ، فجاءت.

الثالث : تحول الكلمة من ثنائية الصوت إلى رباعية الصوت. إذ أضيف إليها صوتان هما الفتحة على الذال والألف.

الرابع : توالي ثلاثة أصوات هي الفتحة والواو والألف وهو تركيب المصوت الثلاثي (Triphthong) وهذا التركيب أكثر صعوبة في التلفظ[1].

والكلمة (ذو) حين تدخل في السياق فإنها تتسق مع الكلمات المجاورة صوتيًا (ذُوْ عَدْلٍ هَدْيًا). فهذا سياق صوتي يتكون من خمسة مقاطع طويلة متوالية. فهي منسجمة صوتيًا مع ما يجاورها من المقاطع في السياق الصوتي انسجامًا تامًّا.

فمن قرأ (ذو) من دون ألف في آخرها فقد أراد كلمة (ذو) التي بمعنى صاحب ؛ وأصل الكلمة هو "ذات" ، ويوقف عليها بالهاء "ذاه"، وعند الوصل تكون بالتاء[2]. وعلى ذلك فهي على وزن (فُعْ) ؛ حيث حذف الثالث الذي هو لام الكلمة.

وهي (كلمة صيغت ليتوصل بها إلى الوصف بالأجناس)[3]، ولذلك فهي تضاف إلى اسم جنس ، نحو: ذو مالٍ ، أو تضاف إلى المصادر ، نحو : ذو جمالٍ. وهي – هنا - مضافة إلى مصدر هو كلمة (عَدْل). وإضافتها إلى مصدر تَدُلُّنا على أنها صفة حلت محل موصوفها المتصف بفعل ذلك المصدر ، وهو كلمة (رجل)، والتقدير: يحكم به رجل ذو عدل. وهذا مظهر من مظاهر الثراء الدلالي في العبارة القرآنية ؛ فقد تكونت العبارة من ست كلمات ، والمحصلة الدلالية للسامع عبارة تتكون من سبع كلمات. والثراء الدلالي ظاهرة من الظواهر العامة المطردة في العبارة القرآنية. وقد قدرت كلمة (رجل) نكرةً ، لأن كلمة (عدل) نكرة.

ويبرز عندنا هنا سؤال هو : هل أن العدد مقصود في كلمة (ذو) على قراءة الإفراد ؟ أي : هل يحكم في المسألة "ذو عدل" واحد فقط ؟

---

[1] وهو نظير الكلمة الإنكليزية (power) ينظر English Phonetics and Phonology: 24.

[2] ينظر الصحاح مادة (ذا) : 398.

[3] القاموس المحيط مادة (ذو) : 1351 ، وينظر المفردات : 186 - 187.

ظاهر الكلمة (ذو) يدل على المفرد ، وقد يراد غير الظاهر من اللفظ لقرينة. وقد انقسمت كلمة العلماء على رأيين :

أولهما : أن العدد غير مراد.

بمعنى أن اللفظ ، وإن كان مفردًا إلا أن الآية على هذه القراءة لم ترد الإفراد. إنما (ذو) بمعنى الاسم الموصول (مَنْ) ، والمعنى على هذه القراءة كما يرى الزمخشري :(يحكم به من يعدل منكم ، ولم يرد الوحدة)[1]. فالإفراد في كلمة (ذو) غير مقصود على هذه القراءة ، ولا يمكن الحمل عليه إنما المقصود التثنية. وهي نفسها دلالة قراءة الجمهور. قال ابن جني :(لم يوحد (ذو) لأن الواحد يكفي في الحكم ! لكنه أراد معنى "مَنْ" أي : يحكم به مَنْ يعدل ، و(مَنْ) تكون للاثنين كما تكون للواحد نحو قوله :

نكن مثل مَنْ - يا ذئب - يصطحبان)[2]

الشاهد في الشطر السابق هو استعمال "مَنْ" للدلالة على الاثنين هو والذئب. و "ذو" مثل "مَنْ" في الاستعمال في كونهما تستعملان للواحد وللاثنين. وبذلك يستعمل ابن جني هنا القياس اللغوي دليلًا له على المسألة ؛ فإن كلمة "مَنْ" تستعمل للاثنين كما تستعمل للواحد ، وهذا حكم ثابت لها ؛ فلما تشابهت الكلمتان "ذو" و "مَنْ" اشتركتا في الحكم ، وهو استعمالهما للاثنين كاستعمالهما للواحد. فقد تم استنباط حكم "ذو" المجهول من حكم "مَنْ" المعلوم ؛ وذلك بقياس "ذو" على "مَنْ".

وفي العربية قد يعبر بالواحد ، ولا يقصد منه معنى الإفراد ، كما في قوله ﷻ:

﴿ z ` » | ¡ SM}$ # ¨ b Î) Ç Ê È Î Žó Ç y è ø9 $ # u r

s9 " Å ' z ä £ ô AŽ È Ë Ç ﴾. [العصر : 1-2]، والمقصود بالإنسان - في هذه الآية - الناس مع أنه جاء بلفظ المفرد ، فالمراد به جنس الإنسان لا الإنسان المفرد ، بدليل أنه استُثْنِيَ منه مجموعة بـ "إلا" ، وهم (الذين آمنوا) ، قال ﷻ : ﴿ (Î ωÎ

(# q è =Ï J t ã u r (# q ã Z t B# u ä t ûï Ï %©! $ #

[1] الكشاف : 1 / 665.

[2] المحتسب : 1 / 219. والشطر المذكور هو الشطر الثاني لبيت الفرزدق ، وشطره الأول هو :
تعشَّ فإن واثقتني لا تخونني [ينظر ديوانه : 628]

(# öq| ¹ # uqs?ur Ï M»y sÎ =»¢Á9 $ #
(# öq| ¹ # uqs?ur Èd, y sø9 $ $ Î /
/ Î $ $ 9Á¢ 9öŽ Î È Ì Ç﴾ [العصـر : 3]، ولا يسـتثنى الجمـع إلا مـن جمع أكبر منه.

<u>ثانيهما :</u> أن العدد مراد.

أي : إن كلمة (ذو) اسم يدل على المفرد ، والإفراد مقصود من هذه الكلمـة فـي هذا الموضع. جاء في أسرار القرآن وأنوار الفرقان : (المراد بـذي العدل النبـي ﷺ، أو ولي الأمر من بعده)[1]. وأنكر مؤلفه - بعد ما ساق رأي ابن جنـي - أن يكون المراد هو الإفراد ؛ على ما ذهب إليه ابن جني ، بأن يراد من كلمة "ذو عدل" معنى (مَنْ) !

ويؤخذ على هذا التأويل كون النبي ﷺ معرفة ؛ ولو كانت الآية تريده لأضيفت كلمـة (ذو) إلـى معرفـة ، كـأن تقـول : ذو العـدل. فلفـظ (ذو) (إن وَصَـفْتَ بـه نكـرة أضَفْتَهُ إلى نكرة ، وإن وَصَفْتَ به معرفة أضَفْتَهُ إلى معرفة)[2]. ولـذلك فـاعتراض من اعترض يؤخذ عليه مجيء المضاف إليه نكرة. والعجيب أنـه هو نفسه ، وفي عبارته التي أنكر فيها ذَكَرَ كلمة العدل معرفة ، لأن هذه المعلومة قد استقرت في خلده ، ولم يستطع أن يأتي بكلمة (عدل) نكرة. ومجيء كلمة (عدل) فـي الآيـة نكرة دليل على أن المقصود ليس مُعَرَّفًا ، بل هو نكرة أيضًا.

ويؤخذ عليه أيضًا أن الحجاج يكثرون ، لاسيما في أوقاتنا هذه التي قد يصل فيها عددهم إلى ملايين ؛ فغير مقبول عقلًا أن يذهبوا إلـى رئيس الدولـة ليحكم بينهم فـي الصيد ، بل يكفي أن يحكم بينهم فقيه عالم ، وليس بهم حاجة إلـى رئيس الدولـة. أمـا كونهم ذهبوا – في الرواية السابقة - إلى عمر بن الخطاب ﵁ ليحكم بينهم ، فذلك لأن عدد الحجاج في وقته كان قليلًا ، والوصول إليه ميسور ، فلا مشقة على الخليفة في الإفتاء بينهم. ولو أفتى غيره لم يكن في ذلك ضير. والشريعة الإسلامية تنزلت لكل زمان ومكان ، وتصلح لكل أحوال البشرية.

---

[1] أسرار القرآن وأنوار الفرقان (مخطوط) ورقة : 253.
[2] الصحاح مادة (ذا) : 398.

من أجل ذلك يرجح البحث الرأي الأول ، أي : أن يكون العدد – وهو الواحد - غير مقصود. لذلك ذكر أبو حيان الأندلسي الرأي الثاني بصيغة من صيغ التمريض[1] التي تستعمل في الروايات الضعيفة ؛ فقال : (وقيل : أراد به الإمام)[2]. وصيغة المبني للمجهول تستعمل في الروايات التي غلب عليها الضعف. لاسيما حين يستعملها عالم مثل أبي حيان ؛ فهو يقصد تضعيف هذا الرأي. والله أعلم.

أما من قرأ (ذَوا) فمحصلته الدلالية معنى التثنية. وجمع كلمة (ذو) هو ذَوُون[3] ومثناه ذَوان. فقد اكتسبت معنى التثنية من الألف. ولم تثبت النون في كلمة (ذوا) أبدًا بسبب الإضافة وذلك لأن هذه الكلمة من الأسماء الملازمة للإضافة. يقول الجوهري : (وأما "ذو" الذي بمعنى صاحب فلا يكون إلا مضافًا)[4]. وعند الإضافة تحذف نونا المثنى وجمع المذكر السالم وما يلحق بهما.

ومعنى أن يحكم اثنان عادلان أي :(فقيهان عالمان من أهل الدين والفضل)[5]. قال ابن عطية : (وقَصَرَ القرآنُ هذه النازلة على حكمين عدلين عالمين بحُكْمِ النازلة وبالتقدير فيها)[6].

ويشهد لهذه القراءة أنه (جاء رجل إلى عمر بن الخطاب ، فقال : إني أجريت أنا وصاحب لي فرسين نستبق إلى ثغرة ثنية ، فأصبنا ظبيًا - ونحن محرمان - فماذا ترى ؟ فقال عمر لرجل إلى جنبه : تعال حتى أحكم أنا وأنت ، فحكما عليه بعنز ، فولى الرجل وهو يقول : هذا أمير المؤمنين لا يستطيع أن يحكم في ظبي حتى دعا رجلًا يحكم معه ! فسمع عمر بن الخطاب قول الرجل ، فدعاه ، فسأله : هل تقرأ سورة المائدة ؟ فقال : لا. قال : هل تعرف الرجل الذي حكم معي ؟ فقال : لا. فقال عمر: لو أخبرتني أنك تقرأ سورة المائدة لأوجعتك ضربًا ، ثم قال : إن الله ﷻ يقول في كتابه : ﴿...

---

[1] هي صيغ المبني للمجهول مثل قيل ويقال. للتعبير عن الروايات الضعيفة. [ينظر تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي : 1 / 162]

[2] البحر المحيط : 4 / 23.

[3] ينظر الصحاح مادة (ذا) : 399 ، والقاموس المحيط مادة (ذو) : 1351.

[4] الصحاح مادة (ذا) : 398.

[5] جامع البيان : 5 / 48.

[6] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : 579.

﴿□□□□ □... □□□□□□□□□□ □ □□□□□□ □ □□□□□□

وهذا عبد الرحمن ابن عوف)[1]. وفي هذه الرواية نص على أن عمر بن الخطاب ﵁ فهم أن هذه الآية مقصود منها معنى التثنية ، فسأل عبد الرحمن بن عوف ﵁ مع علمه بالحكم تطبيقًا لمدلول التثنية في الآية.

وإذا أردنا تحليل الكلمة على طريقة التحليل المؤلفاتي الذي (يفيد أن المدلول يعين انطلاقًا من مؤلفات الكلمة الأساسية أو ما يطلق عليه باللكسيم)[2]، إذا أردنا ذلك فيجب بحث المكونات الدلالية للكلمة على هذه القراءة نرى أن المقصود من الكلمة على هذه القراءة ثلاثة مكونات دلالية :

الأول : إرادة الذكورة. وهو مأخوذ من لفظة (ذوا) الدالة على المذكر ؛ ولو أراد التأنيث لاستعمل لفظ المؤنث وهو كلمة "ذواتا"، يقول أبو حيان : (الظاهر أن العدلين ذكران ، فلا يحكم فيه امرأتان عدلتان)[3].

الثاني : هو إرادة التثنية. وقد تم أخذها من حرف الألف الدال عليها.

الثالث : هو نسبة صفة العدل إلى من يحكمان ؛ عن طريق إضافة كلمة (ذوا) إلى كلمة (عدل) ، وجعل كلمة (ذوا) فاعلًا للفعل يحكم.

تنوعت بنية الكلمة على القراءتين تنوعًا يوحي باختلاف العدد ؛ فتأرجحت الكلمة بين الإفراد والتثنية ، ولغة الأرقام لا تقبل الاختلاف ، لكن العلماء في قراءة هذه الكلمة أَرْجَعوا إحدى القراءتين إلى معنى الأخرى ؛ فقد أُرْجِعَتْ قراءة الإفراد إلى معنى قراءة التثنية ، وبذلك زال الإشكال المتبادر للذهن بين القراءتين.

---

[1] رواه مالك في الموطأ :1 / 485 برقم (1245)، والبيهقي ينظر السنن الكبرى : 5 / 294 برقم (9857)، ومعرفة السنن والآثار : 7 / 396 ، برقم (10473) ، واستدل به القرطبي في تفسيره : 6 / 272 – 273.

[2] علم الدلالة : : 61.

[3] البحر المحيط : 4 / 23.

ثانيًا : الجمع

تعد اللغة العربية من اللغات الغنية بأنواع الجموع القياسية والسماعية ، فهي تجمع الكلمات بطرائق مختلفة قد يحمل كل منها دلالات هامشية تضاف إلى دلالة الجمع ؛ فإن (تأمُّل العلماء العرب القدامى ألفاظ الجموع نفسها ، وموازنتهم بين دلالاتها الدقيقة تأكيد على أن للكلمة المعينة دلالتها التي لا تتجاوزها داخل التركيب وضمن عملية السياق)[1]. وقد وردت في قراءتي الإمامين عليهما السلام كلمات مجموعة بطرائق مختلفة وفي ما يأتي تفصيل سردها ودراستها.

[1] علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي : 75.

1 - جمع المؤنث السالم

قـــرأ الإمــــام الصــــادق عليه السلام قولـــــه تعالى: ﴿ [illegible] **﴾ [الحـج : 40] ﴿ صِلْوات ﴾** بكسـر الصـاد وسكون اللام ، وبها قرأ الجحدري رضي الله عنه[1].

وقرأها أيضًا بضمهما (صُلُوات)، وهذه القراءة انفرد بها[2].

الكلمة القرائية الأولى (صِلْواتٌ) / ص ـِـ ل / و ـَـ / ت ـُـ ن /

الكلمة القرائية الثانية (صُلُواتٌ) / ص ـُـ / ل ـُـ / و ـَـ / ت ـُـ ن /

الكلمة المصحفية (صَلَواتٌ) / ص ـَـ / ل ـَـ / و ـَـ / ت ـُـ ن /

تتكون قراءة الإمام الأولى من ثلاثة مقاطع طويلة : الأول والثالث من نوع الطويل المغلق ، والثاني طويل مفتوح.

أما قراءة الإمام الثانية وقراءة المصحف فتتكونان من العدد نفسه من المقاطع ، ومقاطع كل منهما المتناظرة من النوع نفسه ، وبالترتيب نفسه. فكلاهما تتكونان من أربعة مقاطع : الأولان قصيران مفتوحان ، والآخران طويلان : الثالث مفتوح ، والرابع مغلق. والفرق الوحيد بين القراءتين في نوع الحركة بالنسبة لقمتي المقطعين الأول والثاني ؛ فهما في قراءة الإمام الثانية الضمة ، وهما في قراءة المصحف الفتحة ، ولا فرق بينهما من الناحية المقطعية. ولكنهما تختلفان عن القراءة الأولى من هذه الناحية. فحينما سكنت منهما اللام بقيت بلا قمة ، فالتحقت

[1] ينظر المحتسب : 2 / 83 ، والتبيان في إعراب القرآن : 2 / 79 ، والجامع لأحكام القرآن : 12 / 71 ، والبحر المحيط : 6 / 375.

[2] ينظر المحتسب : 2 / 83 ، ومجمع البيان : 7 / 85 ، والتبيان في إعراب القرآن : 2 / 79 ، والجامع لأحكام القرآن : 12 / 71 ، والبحر المحيط : 6 / 375 ، وأسرار القرآن وأنوار الفرقان ورقة : 686.

بالمقطع الأول لتكون قاعدة ثانية ؛ وبذلك صار المقطع الأول في القراءة الأولى طويلًا مغلقًا. والقراءة بالكسر أسهل من القراءتين الأخريين وتتأتى هذه السهولة من أمرين :

الأول : قلة الأصوات. ففي القراءة الأولى سكنت اللام ؛ وتسكين اللام يعني خسارة صوت الفتحة التي على اللام ؛ وبذلك تتكون السلسلة النطقية من ثمانية أصوات ، في حين أن الكلمة على القراءتين الأخريين تتكون من تسعة أصوات.

الثاني : نقص عدد المقاطع. فإن تسكين اللام أدى إلى تحول الكلمة إلى ثلاثية المقطع ، بعدما كانت القراءتان الأخريان رباعيتي المقطع.

الكلمة (صلوات) - وعلى القراءات الثلاث - هي جمع من نوع جمع المؤنث السالم. والاختلاف بينها يكمن في ضبط مفرد الكلمة ؛ على ما سنبينه الآن إن شاء الله ﷻ:

فالكلمة على قراءة (صِلْوات) هي جمع مفرده "صِلْوَة"؛ وهي كلمة مقدرة غير مستعملة[1]. فإنه إذا كانت الكلمة ثلاثية مكسورة الفاء معتلة اللام فيجوز تسكين عينها ، ويجوز فتحها ، مثل : رِشْوة – رِشْوات – رِشَوات[2]. وعلى هذا الرأي فإنه يجوز قراءة الكلمة بفتح اللام (صِلَوات)، ولم يقرأ بها أحد من الأئمة[3].

وأما الكلمة على قراءة (صُلُوات) فهي جمع مفرده "صُلْوة"؛ وهي كلمة غير مستعملة أيضًا[4]. فإنه إذا كان البناء ثلاثيًا ، مضموم (الفاء ، غير يائي اللام جاز ضم العين وفتحها وتسكينها ، نحو : ظُلْمة – ظُلُمات – ظُلَمات – ظُلْمات. والأولى أجود)[5]. وقد ذكر سيبويه كلمة (خُطُوات) بضم الطاء وسكونها[6].

وأما الكلمة على قراءة (صَلَوات) فهي جمع مفرده "صَلاة"[7]، وهي كلمة مستعملة شائعة غنية عن الاستدلال عليها.

---

[1] ينظر المحتسب : 2 / 84.
[2] ينظر المحتسب : 2 / 84 ، والمعجم المفصل في علم الصرف : 209.
[3] ينظر معجم القراءات القرآنية : 4 / 186.
[4] ينظر المحتسب : 2 / 84.
[5] المعجم المفصل في علم الصرف : 209.
[6] ينظر الكتاب : 2 / 182.
[7] ينظر المعجم المفصل في علم الصرف : 209.

ولم نجد من العلماء من ربط بين ضبط الكلمة ودلالتها ؛ فهم مختلفون في معناها في معزل عن اختلافهم في كيفية تحريك حروفها. ولم تجتمع كلمتهم على معنى واحد لها ؛ بل اختلفوا في معنى كلمة (صلوات) على آراء كثيرة :

الأول : كنائس اليهود[1].

والثاني : بيوت تبنى للنصارى في البراري يصلون فيها في أسفارهم[2].

والثالث : الكنائس. وهو قول ابن عباس[3]. وسميت الكنيسة صلاة ؛ لأنها يُصَلَّى يُصَلَّى فيها[4].

والرابع : مساجد الصابئين. وهو قول أبي العالية[5].

والخامس : الصوامع الصغار ، ولم يسمع لها واحد[6].

الكلمة – إن لم تكن معربة - على تقدير مضاف محذوف ، يقول ابن جني :(ومعنى "صلوات" هنا المساجد ، وهي على حذف المضاف ، أي : مواضع الصلوات. ومنه قولهم : صلى المسجد ، أي : أهله. وأذن المسجد ، أي : مؤذنه. وقال :

نُبِّئتُ أن النار بعدكَ أوقدَتْ واستَبَّ بعدكَ يا كُلَيْبُ المَجْلِسُ)[7].

أي : استب أهل المجلس.

ولم يؤثر التغير الصوتي في دلالة الكلمة ، فالكلمة على كل قراءة من القراءات تحتمل المعاني السابقة كلها.

[1] ينظر الجامع لأحكام القرآن : 12 / 63.
[2] ينظر الجامع لأحكام القرآن : 12 / 63.
[3] ينظر الجامع لأحكام القرآن : 12 / 63.
[4] ينظر الكشاف : 3 / 157.
[5] ينظر الجامع لأحكام القرآن : 12 / 63.
[6] ينظر الجامع لأحكام القرآن : 12 / 63.
[7] المحتسب : 2 / 84 ، والبيت لمهلهل ومعناه : إنه كان لعظم ناره لا توقد نار وكان الناس لا يستبون لهيبته فلما مات أوقدت النار ، واستب القوم.

2 – جمع التكسير

قــرأ الإمـــام البـــاقر ﷺ قولـــه ﷻ : ﴿ 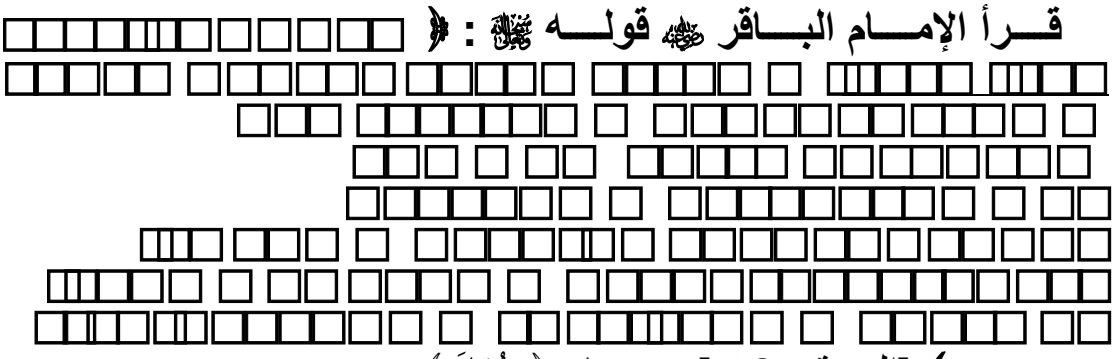 **﴾** [التوبة : 19] دون ياء ﴿ سُقاةَ ﴾.

وهي قراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع وابن وردان وابن الزبير وأبي حيوة وأبي وجزة السعدي وسعيد ابن جبير وابن جماز ﷺ[1].

الكلمة القرائية (سُقاةَ) س ـُـ / ق ـًـ / ت ـَـ

الكلمة المصحفية (سِقايَةَ) س ـِـ / ق ـًـ / ي ـَـ / ت ـَـ

تتكون الكلمة - على قراءة الإمام ﷺ - من ثلاثة مقاطع : الأول قصير مفتوح ؛ يتكون من قاعدة السين وقمة هي ضمته ، والثاني طويل مفتوح ؛ يتكون من قاعدة هي القاف وقمة هي الألف ، والمقطع الثالث قصير مفتوح ؛ يتكون من قاعدة هي التاء وقمة هي فتحته.

وتتكون الكلمة على قراءة المصحف من أربعة مقاطع : الأول قصير مفتوح ؛ يتكون من قاعدة هي السين وقمة هي كسرته ، والمقطع الثاني طويل مفتوح ؛ يتكون من قاعدة هي القاف وقمة هي الألف بعدها ، والمقطع الثالث قصير مفتوح ؛ يتكون من قاعدة الياء - وهي هنا نصف مصوت تقوم مقام الصامت في المقطع – وقمة هي فتحتها ، والمقطع الرابع مثل المقطع الثالث على قراءة الإمام ﷺ.

[1] ينظر إعراب القرآن للنحاس : 2 / 9 ، والمحتسب : 1 / 285 ، والكشاف : 2 / 180 ، مجمع البيان : 5 / 14 ، التفسير الكبير : 16 / 12 ، والتبيان في إعراب القرآن : 2 / 7 ، والبحر المحيط : 5 / 20 ، والنشر في القراءات العشر : 2 / 278 ، وإتحاف فضلاء البشر : 241 ، وروح المعاني : 10 / 67.

فقراءة الإمام ﷺ أقل بمقطع قصير مفتوح من قراءة المصحف. وقمة المقطع الأول في قراءة الإمام ضمة في حين أنها في قراءة المصحف كسرة. هذان هما الفرقان الصوتيان بين الكلمة على القراءتين.

فمن قرأ (سُقاةَ الحاجِّ) جعلها جمع (ساقي الحاج) ؛ فإن الساقي يجمع على (سُقاة)[1]. و(سُقاة) على وزن "فُعَلَة"، وهو وزن من أوزان جموع الكثرة[2]. فالفعل الماضي هو (سقى) ، وهو معتل بالألف التي أصلها ياء ؛ بدليل أن المضارع منه (يسقي)، ولذلك كتبت ألفه المقصورة ، فأصل الكلمة (سُقَيَة) وقد قلبت الياء - التي هي لام الفعل - ألفًا ؛ لتحركها بالفتحة وفتح ما قبلها ، وهو القاف. وهو وزن مطرد في كل وصف عاقل على وزن "فاعل"؛ شريطة أن يكون معتل اللام : كقاضٍ وقُضاة ، ورامٍ ورُماة ، وغازٍ وغُزاة[3]. هذا هو الصحيح في وزن الكلمة.

وذهب القرطبي إلى أن أصل الكلمة (سُقْيَة)، فهي على وزن "فُعْلَة"، وقال عنه :(كذا يجمع المعتل من هذا)[4]. وليس هذا الوزن (فُعْلة) من أوزان الجموع ، إنما هو من أوزان مبالغة اسم المفعول ، كما سيأتي - إن شاء الله ﷻ- في دراسة كلمة (هُمْزة) في دراسة صيغ المبالغة. ومثل القرطبي لا يخطئ في وزن هذه الكلمة ، ولكن لعلها من أخطاء النُّسّاخِ أو الطباعين ، مع أن الكتاب محقق.

ويطلق هذا الجمع على صنف من العقلاء ، والتاء هذه تحوله من الوصفية إلى الاسمية أي : إلى ذات. واختفى مع هذه التاء معنى الحدث من هذا الجمع أو كاد يختفي[5]. والدليل أننا لا نجده عاملًا عمل فعله ؛ لاختفاء معنى الحدث الذي هو سبب التعدي[6]. وهذا هو الفرق بين هذا الجمع وجمع المذكر السالم ، فالفرق بين "سُقاة" و "ساقِين" هو دلالة كلمة "ساقين" على الحدث ، واختفاء الحدث من كلمة "سُقاة". فنقول : السقاةُ ساقون الحجيجَ الماءَ. فالسقاة تدل على هذا الصنف المعين

---

[1] ينظر البحر المحيط : 5 / 22.
[2] ينظر المعجم المفصل في علم الصرف : 204 – 205.
[3] ينظر الكتاب : 2 / 206 ، والمقتضب : 2 / 221 ، وهمع الهوامع شرح جمع الجوامع : 2 / 221 ، وشذا العرف في فن الصرف : 135 ، والمعجم المفصل في علم الصرف : 204 – 205.
[4] الجامع لأحكام القرآن : 8 / 79.
[5] ينظر معاني الأبنية في العربية : 123- 151.
[6] ينظر معاني الأبنية في العربية : 123.

من العقلاء الذين امتهنوا هذا الواجب - وهو واجب سقاية الحاج - وليس فيه معنى الحدث ، فليس السقاة قائمون بالسقي في كل أحوالهم. فإن العرب اقتسمت خدمة الحجيج فيما بينها ، فكان لكل قبيلة واجب من هذه الواجبات. وكانت السقاية لبني هاشم ، وكان يليها العباس بن عبد المطلب في الجاهلية والإسلام[1].

ومعلوم أن الفعل "جعل" هنا نصب مفعولين ، أصلهما مبتدأ وخبر : الأول هو "سُقاة" ، والثاني "كمن آمن ...". ويمكن أن نطلق على المفعولين تجوزًا لفظ المجعولين. وباب التجوز أن الأول منهما مجعول ، والثاني مجعول عليه. فيطلق عليهما لفظ المجعولين من باب التغليب. وهذان الطرفان يجب أن يستويا بسبب كون أصلهما مبتدًا وخبرًا.

وهذه القراءة يتلاءم فيها المجعولان ، وهما مفعولا الفعل "جعل" ؛ فإن الطرف الثاني للفعل "جعل" هو جماعة أفراد (من آمن بالله واليوم الآخر) ، فناسب ذلك أن يكون طرفه الأول جماعة أفراد أيضًا "سُقاة". والمعنى : أجعلتم السقاة كالمؤمنين ؟ وهذا يتلاءم مع ما جاء في أسباب نزول الآية ، إذ كان المختلفون في الأمر رجالًا من الصحابة ؛ فالموازنة ليست بين الأعمال إنما بين الرجال القائمين بهذه الأعمال.

قال محمد بن كعب القرظي[2]: (افتخر طلحة بن شيبة من بني عبد الدار وعباس ابن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب ؛ فقال طلحة : أنا صاحب البيت ، معي مفتاحه لو أشاء بِتُّ فيه ! وقال عباس : أنا صاحب السقاية ، والقائم عليها ، ولو أشاء بت في المسجد ! وقال علي: ما أدري ما تقولان ! لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس ! وأنا صاحب الجهاد ! فأنزل الله ﷻ الآية)[3]. وفي هذه الرواية تقع المفاضلة بين من آمن أولًا ، وهو هنا علي ﷺ، من جهة ، ومن جهة أخرى ساقي الحاج ، وهو هنا عباس ، وعامر المسجد ، وهو هنا طلحة.

---

[1] ينظر البحر المحيط : 4 / 22 ، ولسان العرب مادة (سقى) : 19 / 114.

[2] أبو حمزة ، من حلفاء الأوس وكان أبوه من سبي بني قريظة سكن الكوفة ثم المدينة ، تابعي ، ثقة ، من أئمة التفسير (ت 108 هـ) على خلاف في ذلك. [ينظر سير أعلام النبلاء : 5 / 65 – 68 ترجمة رقم (23)]

[3] رواه الطبري في تفسيره جامع البيان : 6 / 337 برقم (16577)، ومثله حديث مسلم : 1209 برقم (1880) مع عدم ذكر أسماء الصحابة.

ومن قرأ (سقاية) فقد أراد مصدر الفعل الثلاثي "سقى". والمصدر هو (اللفظ الدال على معنى مجرد غير مرتبط بزمن)[1]. وهذا المصدر على وزن (فِعالة) ، وقد جاءت هذه الكلمة على هذا الوزن لكونه يدل على وِلاية. ومعلوم أن ما دل على حرفة أو وِلاية فقياسه "الفِعالة"[2].

لمعرفة الدلالة الدقيقة لكلمة "سِقاية" تجب الإشارة إلى أن هناك فرقًا دلاليًا دقيقًا بين السِّقاية والسَّقْي ، ووجود هذا الفرق الدلالي يعد سببًا من سببين أديا إلى تعدد مصادر الفعل الواحد ، والسبب الثاني هو اختلاف لغات العرب. والفرق الدلالي بين المصدرين هو أن (السقي مصدر الفعل "سقى" ، فإذا أردت الولاية قلت : "السقاية"، ومنه سقاية الحاج)[3]. وسقاية الحاج سقيهم الشراب. فالعلاقة بينهما هي العلاقة بين العام والخاص ، فالسقي عام في كل من يسقي. والسقاية خاصة بولاية سقي الحجاج.

(وهذا التوبيخ من الله ﷻ لقوم افتخروا بالسقاية وسدانة البيت ، فأعلمهم ﷻ أن الفخر في الإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيله لا في الذي افتخروا به من السدانة والسقاية)[4]. (وميزان الله هو الميزان ، وتقديره هو التقدير)[5].

وعلى هذه القراءة يجب تأويل مضاف محذوف ؛ ليتصادق المجعولان. فالمعنى يكون : أجعلتم سقاية الحاج كإيمان من آمن أو كعمل من آمن. لكي يتلاءم طرفا الفعل "جعل" في كونهما مصدرين يدلان على عملين[6]. قال القرطبي : (ويصح أن يقدر الحذف في "من آمن" أي أجعلتم عمل سقي الحاج كعمل من آمن ، وقيل : التقدير كإيمان من آمن)[7].

---

[1] المعجم المفصل في علم الصرف : 372.
[2] ينظر الكتاب : 2 / 216 ، وأدب الكاتب : 471.
[3] معاني الأبنية في العربية : 24.
[4] جامع البيان : 6 / 335.
[5] في ظلال القرآن : 3 / 1614.
[6] ينظر إعراب القرآن الكريم وبيانه : 3 / 192، والبحر المحيط : 5 / 22.
[7] الجامع لأحكام القرآن : 8 / 79.

أو نقدر مضافًا قبل المصدر ، الأمر الذي يحوله إلى أفراد ، يقول القرطبي : (أجعلتم أصحاب سقاية الحاج أو أهل سقاية الحاج مثل من آمن بالله ، وجاهد في سبيله)[1].

۞ ۞ ۞

وقرأ الإمام الصادق ﷺ قوله ﷻ: ﴿ [illegible] ﴾ [الحج : 27] بضم الراء وتشديد الجيم (رُجّالًا).

وبها قرأ ابن عباس وأبو مجلز وعكرمة ومجاهد والحسن وابن أبي إسحاق وابن مسعود ﷺ[2].

الكلمة القرائية (رُجّالًا)	ر ـُـ ج / ج ـَـ / ل ـَـ ن

الكلمة المصحفية (رِجالًا)	ر ـِـ / ج ـَـ / ل ـَـ ن

تتكون كل من القراءتين من ثلاثة مقاطع : الثاني والثالث طويلان ؛ الثاني مفتوح ، والثالث مغلق. والاختلاف الصوتي بين القراءتين يكمن في المقطع الأول ، ويتجلى في أمرين :

[1] الجامع لأحكام القرآن : 8 / 79.
[2] ينظر المحتسب : 2 / 79 ، والكشاف : 3 / 11 ، ومجمع البيان : 7 / 79 ، والتفسير الكبير : 23 / 28 ، والتبيان في إعراب القرآن : 2 / 78 ، والجامع لأحكام القرآن : 12 / 39 ، والبحر المحيط : 6 / 338.

الأول : هو طول المقطع ونوعه. فهو على قراءة الإمام طويل مغلق ، وعلى قراءة المصحف قصير مفتوح.

الثاني : جنس الحركة التي تشكل قمة المقطع. فهي على قراءة الإمام ضمة ، وعلى قراءة المصحف كسرة.

وقراءة المصحف أسهل في النطق من قراءة الإمام ؛ من حيث إن السلسلة النطقية تتكون من عدد أقل من الأصوات ؛ فإن الجيم الأولى الساكنة من المشدد قد اختفت من النطق ؛ الأمر الذي يوفر الجهد الذي يقوم به جهاز النطق لإنتاج هذا الصوت.

والصعوبة في قراءة الإمام التي تكمن في الضمة على الراء والشدة على الجيم تتناسب مع صعوبة العمل ، وهو الذهاب إلى الحج مشيًا على الأرجل ؛ فإنه أصعب من الركوب.

فمن قرأ (رُجّالًا) بضم الراء وفتح الجيم مشددة فعنده الكلمة على وزن "فُعّال"، وهو وزن مطرد في جمع الوصف على وزن "فاعِل"، مثل قارئ وقُرّاء ، وكاتِب وكُتّاب ، وتاجر وتُجّار[1]. ووزن "فُعّال" (أشهر أوزان جمع التكسير للصفات)[2]. وقد يكون جمع الجمع ، أي : جمع "رَجْل" وهو جمع "راجِل"[3]. (وأشهر دلالة لهذا البناء التكثير والمبالغة في القيام بالفعل ؛ فإن لم يكثروا من القيام بالفعل فلا يطلق عليهم هذا الجمع ؛ فليس كل من يزرع شجرة - مثلًا - هو من الزُّرَّاع حتى يُكْثِرَ من ذلك ، تقول : هم زارعون أشجارًا في حديقتهم. أي : يزرعون. ولا تقول : هم زُرّاع. حتى يكثروا من الزراعة ، وتكون الزراعة حرفة أو كالحرفة لهم. وتقول : قَدِمَ الحُفَّاظ والقُرَّاء. لمن كان قيامهم بالفعل واتصافهم به كثيرًا)[4].

---

[1] ينظر المحتسب : 2 / 79 ، والبحر المحيط : 6 / 338 ، والمحرر الوجيز : 4 / 117 ، والدراسات اللغوية في قراءة عكرمة : 92 ، وينظر في الوزن شذا العرف في فن الصرف : 136 – 137 ، والمعجم المفصل في علم الصرف : 205.

[2] معاني الأبنية في العربية : 148.

[3] ينظر الدراسات اللغوية في قراءة عكرمة : 92.

[4] معاني الأبنية في العربية : 148 – 149.

وعلى هذا فإن "رُجّالًا" تعني (على أرجلهم مشاةً ؛ فإن "رُجّالًا" جمع "راجِل")[1]. والراجل هو الذي يمشي على رجليه. وهذا الوزن "فُعّال" لما كان يدل على التكثير والمبالغة ، فإن كلمة "رُجّال" محصلتها الدلالية يمكن تجزئتها إلى أربعة عناصر :

الأول : المعنى الأصلي للجذر اللغوي الثلاثي الذي اشتقت منه الكلمة ، وهو الفعل الماضي ("رَجِلَ" بالكسر ، أي : بقي راجلًا)[2] ، بمعنى أنه بقي ماشيًا على رجليه.

الثاني : دلالة اسم الفاعل من الفعل الثلاثي. وهو الشخص الذي يقوم بالفعل الذي يتكون من الجذر اللغوي الثلاثي السابق. أي : الشخص الذي يمشي على رجليه ، ولا يركب ، يقول الجوهري : (الراجل : خلاف الفارس)[3].

الثالث : ظل الكثرة والمبالغة في الفعل. وهي دلالة هامشية ، وهي دلالة مستفادة من وزن الجمع "فُعّال"، كما سبق.

الرابع : ظل الحركة والحدث. وهي أيضًا دلالة هامشية ، وهي دلالة مستفادة من وزن الجمع "فُعّال". يقول الدكتور فاضل السامرائي عن هذا الوزن :(وقد يدل على الحركة أيضًا ، كأن تقول : جاءوا طلابَ ثأرٍ. أي : يطلبون ثأرًا. ففيه الدلالة على الحركة والحدث)[4].

الخامس : ظل التشابه مع وزن "فُعّال" وهو من أوزان اسم الآلة مثل : "كُلّاب" فكأن الرُّجّال أصبحوا آلة للمشي على الأرجل. كما ذهب أستاذنا د. فاضل السامرائي بقوله :(لا يبعد أن يدعي مدعٍ أن هذا الجمع مأخوذ من اسم الآلة "فُعّال" كالكُلّاب والخُطّاف ، فكأن أصحاب هذا الجمع آلة للقيام بالفعل لكثرة قيامهم بالأمر)[5].

---

[1] أسرار القرآن وأنوار الفرقان ورقة : 683.
[2] الصحاح مادة (رجل) : 430.
[3] الصحاح مادة (رجل) : 430.
[4] معاني الأبنية في العربية : 148.
[5] معاني الأبنية في العربية : 150.

فالخلاصة الدلالية للكلمة هي الناس الذين يأتون مشيًا على أرجلهم ، ويُتْعِبون أنفسَهم بكثرةِ المشيِ إلى بيت اللهِ الحرامِ ، فكأنهم أصبحوا آلة للمشي.

يؤيد هذه القراءة كون المعطوف على "رُجّالًا" هو "رُكّاب" المعبر عنه بقول الله ﷻ: ﴿ 9 □ Ï B$ | Ê È e @à 2 4 ' n? t ã u r ﴾. أي : كأنه يريد : يأتيك الناس راجلينَ ، وراكبينَ كلَّ ضامرٍ. وهذه المقابلة بين الحالين تفيد العموم ، فالناس سيأتون على الحالين ؛ فمن لم يستطع المشي جاء على ضامر.

ومن قرأ (رِجالًا) بكسر الراء وتخفيف الجيم أراد جمع "راجل"، كقولهم : صاحِب وصِحاب[1]. وكلمة "رِجال" على وزن "فِعال"، وهو وزن من أوزان جموع الكثرة. (واللافت للنظر أن وزن "فِعال" هذا يصلح جمعًا لكلمات كثيرة لا تخضع لقياس معين)[2].

وقرأ الإمام الصادق ﷺ قوله ﷻ: ﴿[illegible]﴾ [المائدة : 89] ﴿ أهالِيْكُمْ ﴾.

وهي من انفراداته[3].

---

[1] ينظر الصحاح مادة (رجل) : 430 ، والمحرر الوجيز : 4 / 117 ، والدر المصون : 8 / 264.

[2] التطبيق الصرفي : 101.

[3] ينظر الكشاف : 1 / 659 ، والجامع لأحكام القرآن : 6 / 244 ، وأسرار القرآن وأنوار الفرقان : 251 ، وينظر معجم القراءات القرآنية : 2 / 235.

إذا أردنا معرفة التغيرات الصوتية التي حصلت بين القراءتين فلا بد لنا من كتابة الكلمة على القراءتين كتابة مقطعية.

الكلمة القرائية (أهاليْكم) ء ـَـ / هـ ـًـ / ل ـٍـ / ك ـُـ م

الكلمة المصحفية (أهليكم) ء ـَـ هـ / ل ـٍـ / ك ـُـ م

تتكون الكلمة على قراءة الإمام (أهاليكم) من أربعة مقاطع : الأول قصير مفتوح والثاني والثالث طويلان مفتوحان ، والرابع طويل مغلق.

أما الكلمة على قراءة المصحف فتتكون من ثلاثة مقاطع : الأول طويل مغلق ، والثاني طويل مفتوح ، والثالث طويل مغلق.

الذي حصل هو أن الألف - وهي قمة المقطع الثاني - حين حذفت بقيت الهاء قاعدة من دون قمة ، فأصبحت قمة ثانية للمقطع الأول القصير المفتوح ، فتحول - بإضافة هذه القاعدة الثانية له - إلى طويل مغلق.

فمن قرأ (أهاليكم) فالكلمة على وزن "فَعالي" بفتح أوله وثانيه ، وكسر رابعه ، وهو جمع تكسير[1] جاء على وزن من أوزان جموع الكثرة[2]. وفي مفرد كلمة (أهالي) رأيان :

أولهما : أن مفردها (أهل)[3].

ويبدو من تشبيههم "أهالي" بـ "ليالي" أكثر من وجه للشبه : فهما متشابهتان في الوزن ؛ إذ إن كلتيهما على وزن "فَعالي" من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن مفرديهما "أَهْل" و "لَيْل" على التوالي جاءا على وزن "فَعْل" ، وكلا المفردين تلحقه التاء ، فيقال : "أَهْلة" و "لَيْلة". وكلمة "ليلة" مشهورة ، وفيها غنى عن التمثيل لإثبات وجودها في اللغة. أما كلمة "أهلة" فقد وردت عن العرب في مثل قول الشاعر: [من الطويل]

وأَهْلةِ ودٍّ قد تَبَرَّيْتُ ودَّهُمْ وأبْلَيْتُهم في الحَمْدِ جَهْدي ونائلي[4]

[1] ينظر الجامع لأحكام القرآن 6 / 244.
[2] ينظر شذا العرف في فن الصرف : 140.
[3] ينظر الكشاف: 1 / 659 ، والصحاح مادة (أهل) : 62 ، والقاموس المحيط مادة (أهل) : 963.
[4] ينظر الصحاح مادة (أهل) : 62 ، والبيت للشاعر أبي الطمحان البيني ، وهو في خزانة الأدب : 3 / 424.

وقيل : إن وجه الشبه بينهما يكمن في أن كلًا منهما (كأن واحدها "أَهْلاة" و "لَيْلاة" أنشد ابن الأعرابي : [من الرجز]

في كـــــــل يوم ، وبكل لَيْــلاه

يا وَيْحَهُ من حَمَلٍ ما أشْقاه)[1]

ثانيهما : أن "أهالي" جمع "أهلين"[2]. ويرى البحث أنه يمكن حمل كلمة (أهالي) - بهذا الرأي - على جمع المذكر السالم ، فتكون في الأصل (أهالين)، وحذفت النون بسبب الإضافة. وعلى هذا الرأي نستغني عن تأويل سكون الياء وتعليلها بأنها سكنت للتخفيف ؛ فإن ياء جمع المذكر السالم ساكنة أصلًا. وما جاء على الأصل فلا يعلل.

وبهذا تكون الكلمة جمع الجمع ؛ لأن كلمة "أهلين" نفسها جمع. والجمع يجمع في بعض الأحيان ، وذلك تلميحًا إلى وجود أنواع مختلفة ومجموعات من ذلك الجمع ؛ فتُشَبَّهُ كل مجموعة بالمفرد ، فتجمع لبيان أهميتها ، ولمعنى المبالغة الذي يُلْمَحُ من استعمالهم لهذا النوع من الجمع ، كما قالوا : بيوت وبيوتات. فإن كلمة "بيوتات" تطلق ، ويراد بها البيوت المحترمة ذات المكانة. و(الفرق بين الجمع وجمع الجمع أن الجمع يدل على آحاد كل منها يكون فردًا من ذلك الجنس. والمجموع في جمع الجمع يدل على جموع كل واحد منها يشتمل على أفراد من ذلك الجنس. فالمجموع في جمع الجمع بمنزلة الآحاد في الجمع)[3].

والذي يبدو راجحًا هو الرأي الأول. وتُضْعِفُ القولَ بالرأي الثاني مسألتان :

الأولى : أن كلمة "أهل" اسم مفرد يدل على الجمع ، فهي اسم جمع ، مثل كلمة "قوم"، فإذا كانت كلمة "أهلين" جمع "أهل"، وكلمة "أهاليكم" جمع "أهلين"، فإن كلمة "أهاليكم" ستكون جمع جمع لكلمة هي اسم جمع. وجمع الجمع نفسه هو خلاف للأصل ، فالأصل أن يجمع المفرد ، وقد أُقِرَّ جمع الجمع لثبوته عن العرب. فكيف يقبل جمع جمع اسم الجمع ؟ وما الحاجة إلى مثل هذا الاشتقاق في العربية ؟

---

[1] المحتسب : 1 / 128.
[2] أسرار القرآن وأنوار الفرقان : 251.
[3] شرح الأنموذج : 102.

الثانية : هي أننا إذا قلنا بأنها جمع "أهل" فإن العدد يكون ثلاثة فما فوق. أما إذا قلنا : إنها جمع "أهلين" فإن العدد يكون أكثر من تسعة لأن جمع الجمع أقله تسعة ، ولا يوجد ما يوجب هذا العدد في السياق الذي جاءت فيه الكلمة.

وموضع كلمة "أهاليكم" النحوي هو مفعول به أول للفعل "تطعمون"، منصوب وعلامة نصبه - كان يفترض أن تكون الفتحة الظاهرة - سكنت لعلة صوتية هي التخفيف ، يقول الزمخشري :(وأما تسكين الياء في حال النصب فللتخفيف ، كما قالوا : رأيتُ مَعْد يْكَرِب. تشبيهًا للياء بالألف)[1]. ويبدو أن التخفيف جاء بسبب طول الكلمة من ناحية ، ومن ناحية أخرى فلو تحركت الياء لتوالت ثلاثة متحركات هي : اللام والياء والكاف ، وهو أمر من الصعوبة بمكان ، لاسيما في مثل هذه الكلمة الطويلة. فكان تسكين الياء مخرجًا من توالي هذه المتحركات.

والياء جاءت ساكنة في (أهاليكم) والأصل أن لا تظهر عليه الحركات الإعرابية بل تقدر لثقل الحركات على حرف العلة إلا حركة إعرابية واحدة هي الفتحة ؛ فإنها تظهر على الياء لكون الفتحة أخف الحركات ، فَقَلَّ ثقلها على الياء ، فظهرت. وحينما سكنت تم بذلك التخلص من هذا الثقل على قلته ، ووجه الشبه بين الياء والألف أن كليهما حرف علة ، فألحقت الياء بالألف في التسكين لكون الألف حرف مد فهي ساكنة دائمًا ، ولا يمكن أن تتحرك لذا فهي الأصل في أحرف المد. وعلى عبارة الأقدمين (لأنها لا تكون إلا ساكنة ، ولا يكون ما قبلها إلا مفتوحًا)[2].

أما من قرأ (أهليكم) فقد أراد (جمع "أهل" على السلامة)[3]. و"أهلون" ملحق بجمع المذكر السالم[4]. ولم نَقُلْ : إنه جمع مذكر سالم ، لأن (هذا الجمع يكون في أعلام العقلاء وصفاتهم)[5]. وكلمة (أهل) لا هي صفة ولا علم. فمفرد هذه الكلمة لا تنطبق عليه شروط الاسم الذي يجمع هذا الجمع[6]. لكنه جُمِعَ عليه ، فسمي ملحقًا

[1] الكشاف : 1 / 659.
[2] الحواشي الأزهرية في حل ألفاظ المقدمة الجزرية في جامع شروح المقدمة الجزرية : 28.
[3] الجامع لأحكام القرآن : 6 / 244.
[4] ينظر شرح قطر الندى وبل الصدى : 48.
[5] شرح شذور الذهب : 83.
[6] تنظر الشروط في شذا العرف في فن الصرف : 123.

به. وقد حذفت منه النون بسبب الإضافة ، وأصلها "أهلون"[1]، يقول الزمخشري : (وقولهم :"أهلون" كقولهم : "أرْضون" بسكون الراء)[2]. ووجه التشابه بين الكلمتين يكمن في كون كليهما مجموعًا جمع مذكر سالمًا ، وفي كون مفردي الكلمتين مما لا تنطبق عليه الشروط الواجب توافرها في الاسم لكي يجمع جمع مذكر سالمًا ، فضلًا عن اتفاق المفردين في الوزن الصرفي ، فكلاهما على وزن "فَعْل".

۞　　۞　　۞

وقـــرأ الإمـــام الصـــادق عليه السلام قـــول الله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [يوســـف : 46] ﴿ سَنَابِلَ ﴾ بدل كلمة ﴿ سُنْبُلاتٍ ﴾.

وهي من انفراداته[3].

حصل عندنا تغير في ترتيب المقاطع الصوتية في الآية على ما يأتي :

الكلمة القرائية (سَنابِل)　　/ س ـَـ / ن ـًـ / ب ـِـ / ل ـَـ /

[1] ينظر إعراب القرآن للنحاس : 245.
[2] الكشاف : 1 / 659.
[3] ينظر مجمع البيان : 5 / 236 ، وأسرار القرآن وأنوار الفرقان ورقة : 495 ، ومعجم القراءات القرآنية : 3 / 174.

الكلمة المصحفية (سُنْبلات) / س ـُـ ن / ب ـُـ / ل ـًـ / ت ـِـ ن/

تتكون الكلمة من أربعة مقاطع : الأول قصير مفتوح ، والثاني طويل مفتوح ، والثالث والرابع قصيران مفتوحان. وتشكل في سياقها الصوتي انسجامًا مع ما قبلها وبعدها ؛ فالمقطع الصوتي (عِجَافٌ وَسَبْعِ سَنَابِلَ خُضْرٍ) ، يمكن أن يعبر عنه بأنه أربع تفعيلات من تفعيلات بحر المتقارب التي هي (فَعُوْلُنْ)، أي كأنه شطر منه. والمتقارب يتكون شطره من أربع تفعيلات (فَعُوْلُنْ)[1]. على الكتابة العروضية :

عِجَافُنْ / وَسَبْعِ / سَنَابِـ / لَ خُضْرِنْ

فَعُوْلُنْ / فَعُوْلُ / فَعُوْلُ / فَعُوْلُنْ

فالتفعيلة الأولى صحيحة ، والتفعيلتان الثانية والثالثة تعرضتا لزحاف القبض ، و(القبض هو حذف الخامس الساكن في "فَعُوْلُنْ" فتصير "فَعُوْلُ")[2]، أما الثالثة فهي تفعيلة صحيحة. والمقطع الصوتي بمجموعه من الناحية العروضية يساوي شطرًا من بحر المتقارب[3].

تتكون الكلمة – على قراءة المصحف - من أربعة مقاطع أيضًا ؛ لكنها تتوزع بطريقة مختلفة عن الكلمة في القراءة السابقة ؛ فالأول هنا طويل مغلق ، والثاني قصير مفتوح ، والثالث طويل مفتوح ، والرابع طويل مغلق. وإذا أردنا وزنها عروضيًا فإن وزنها (فَأْعِلَاْتُنْ)، وهي تفعيلة صحيحة خالية من الزحاف ، وهي تشكل في سياقها الصوتي انسجامًا صوتيًا من نوع آخر ، فالمقطع الصوتي الواقع بين الخطين المائلين (عجا/فٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاْتٍ/) يمكن أن يعبر عنه بأنه تفعيلتان من تفعيلات بحر الرمل (فَأْعِلَاْتُنْ)، على ما يأتي في الكتابة العروضية الآتية :

فُنْ وَسَبْعِ / سُنْبُلَاْتِنْ

فَأْعِلَاْتُ / فَأْعِلَاْتُنْ

[1] الكافي في العروض والقوافي : 100.
[2] ينظر ميزان الذهب في صناعة أشعار العرب : 10.
[3] ينظر علم العروض والقافية : 98.

التفعيلة الأولى أصابها زحاف الكف ، وهو حذف السابع الساكن[1]، أما الثانية فهي صحيحة ، لم يدخلها زحاف. وهذا التركيب الصوتي من الناحية الصوتية العروضية يساوي شطرًا من مجزوء الرمل وفيه يكون (كل شطر تفعيلتين اثنتين فقط)[2].

ولست بذلك أشبه القرآن الكريم بالشعر ، فالفرق بين القرآن الكريم وكلام البشر كالفرق بين الله ﷻ والبشر ، ولكن أردت الإشارة إلى لطيفة من اللطائف ، وهي أن الكلمات القرآنية بينها نوع عجيب من الانسجام الدلالي[3]، ولا يقل الانسجام الصوتي عن الانسجام الدلالي. فإذا تغيرت الكلمة نتيجة لاختلاف القراءات فإن الكلمة الجديدة - وهي من قراءة أخرى - ستأخذ مكانها في السياق الصوتي منسجمة مع جاراتها مثل انسجام الكلمة الأولى. وهذا ما يمكن أن يعد مبحثًا من مباحث الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم ، وأظن أن المختصين سيصلون إلى نتائج مذهلة مبتكرة إذا ما أحسنوا دراسته. والله أعلم.

كلمة "سنْبلاتٍ" على هذه القراءة تفرز حكمين صوتيين من أحكام التنوين هما :

الأول : حكم الإقلاب. وهو أن تقلب النون الساكنة أو التنوين ميمًا إذا تلاها باء[4]. والنون في كلمة "سنْبلات" نون ساكنة تلاها صوت الباء ؛ لذلك حصل الإقلاب ، فأصبحت من الناحية الصوتية ميمًا. (وإنما قلبت ميمًا عندها خاصة من أجل مؤاخاة الميم للنون في الغنة ومشاركتها للباء في المخرج ، فقلبا ميمًا من أجل ذلك)[5].

والثاني : الإظهار ، وهو إخراج النون الساكنة أو التنوين من مخرجها ، دون إطالة الغنة ، إذا تلاهما أحد أحرف الحلق[6]. كلمة "سُنْبلاتٍ" التنوين لحق الكلمة ،

---

[1] مع ملاحظة أن هذا الزحاف قليل الدخول في تفعيلات الرمل. ينظر في ذلك ميزان الذهب في صناعة شعر العرب : 10 – 11.

[2] علم العروض والقافية : 66.

[3] على هذا الانسجام قامت فكرة علم المناسبة ، كما يظهر جليًا في تفسير البقاعي المسمى "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور".

[4] ينظر الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة : 265.

[5] التحديد في الإتقان والتجويد : 117 ، وينظر الرعاية : 266.

[6] ينظر الرعاية : 262.

فأفرز عندنا حكم الإظهار ، للتنوين. فقد أظهر التنوين لمجيء الخاء بعدها (سنبلاتٍ خضرٍ). وأظهرت النون عند هذه الأصوات لبعد مخارجها عن مخرجه. ويجب أن يُتَعَمَّلَ – أي يُتَكَلَّف - في إخراج النون من مخرجها ، لأنه إذا لم يُتَعَمَّلْ فإنها ستخفى[1].

معلوم أن من الجموع ما هو جمع قلة ، ومنها ما هو جمع كثرة. وهذا التقسيم للجموع سبب من أسباب تعدد الجموع للكلمة الواحدة[2].

العدد هو نفسه في الكلمة على القراءتين ، وهو سبعة. فكيف استعمل معه جمع الكثرة في قراءة ، وجمع القلة في القراءة الأخرى ؟

الكلمة على قراءة الإمام الصادق "سَنابِل" على وزن "فَعالِل"، وكما هو معلوم لدى الصرفيين فإن وزن (فَعالِل) هو من أشهر أوزان منتهى الجموع[3]. وأوزان منتهى الجموع (هي كل جمع كان بعد ألف تكسيره حرفان ، أو ثلاثة أحرف ثانيها ساكن ، نحو "معابد" و "مفاتيح". وتسمى أيضًا الجمع الأقصى)[4]. ومنتهى الجموع الجموع من أوزان جموع الكثرة[5].

وهنا يحصل إشكال مفاده : كيف استعمل جمع الكثرة مع العدد سبعة ؟ وللجواب على هذا السؤال يجب أن نسوق رأيي علمائنا في تحديد العدد الفاصل بين نوعي الجمع.

إن الاختلاف في عدد أفراد الجمع هو الفيصل بين جموع القلة وجموع الكثرة. وقد كان علماؤنا على رأيين في ذلك.

يقول الشيخ أحمد الحملاوي عن جمع الكثرة وجمع القلة : (إنهما مختلفان مبدًا وغاية ؛ فالقلة من ثلاثة إلى عشرة ، والكثرة من أحد عشر إلى ما لا نهاية له.

[1] ينظر التحديد في الإتقان والتجويد : 113.
[2] ينظر معاني الأبنية في العربية : 135.
[3] ينظر المعجم المفصل في علم الصرف : 295.
[4] المعجم المفصل في علم الصرف : 295.
[5] ينظر المهذب : 184.

وقيل : إنهما متفقان مبدًا لا غاية ، فالقلة من ثلاثة إلى عشرة ، والكثرة من ثلاثة إلى ما لا نهاية له)[1].

استعمال كلمة (سنابل) وهي جمع كثرة مع العدد سبعة - على الرأي الثاني - لا إشكال فيه ؛ لأن جمع الكثرة – على هذا الرأي - من ثلاثة إلى ما لا نهاية له. وبذا يكون العدد سبعة مشتركًا بين جمع الكثرة وجمع القلة. ولكن الإشكال يكون على الرأي الأول الذي يرى أن جمع الكثرة من أحد عشر إلى ما لا نهاية له. فالعدد سبعة لا يشمله جمع الكثرة على هذا الرأي ، الأمر الذي يحتاج إلى تخريج.

يمكن الإجابة عن هذا الإشكال بالقول : إنه من المجاز والعدول بالتعبير عن المستوى النمطي إلى المستوى الفني[2]. فجمع القلة وجمع الكثرة قد يتبادلان الأماكن في الاستعمال ، و(استعمال أحدهما مكان الآخر يكون مجازًا)[3]، يقول د. فاضل السامرائي بعد ذكر استعمال النوعين :(وقد يعدل عن ذلك لضرب من البلاغة ، فقد تعطى القلة وزن الكثرة ، والكثرة وزن القلة لغرض ما)[4]. وبعد التأمل تبين أنه قد عدلت القراءة عن جمع القلة المناسب للرقم سبعة إلى جمع الكثرة لغرضين :

أولهما : الغرض البلاغي. وهو أنه لما كانت هذه السنابل في الرؤيا مؤوَّلة بسنين الخصب والبركة عبرت عنها القراءة بجمع الكثرة. فكثرتها متأتية من كثرة بركتها وخيرها ، فببركتها دفع الله ﷻ عن مصر أشباح المجاعة.

ثانيهما : هو تفاؤل رسول الملك في نظره إلى هذه السنابل لكونها خضرًا فعبر بجمع الكثرة تأملًا منه وانتظارًا للبركة والتأويل المبارك من النبي يوسف المبارك عليه السلام. فهذه البركة المتأتية من الخضرة ومن يوسف عليه السلام دفعت رسول الملك إلى التفاؤل. وقد عبر عن تفاؤله باستعمال جمع الكثرة. وقد كان رسول الملك محقًا في

[1] شذا العرف : 131 ، وينظر الكتاب : 2 / 175.
[2] ينظر الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم : 141.
[3] شذا العرف في فن الصرف : 131.
[4] معاني الأبنية في العربية : 138.

تفاؤله ؛ فقد أوّل النبي يوسف ﷺ الرؤيا بأن (السبع من البقرات السمان والسنبلات الخضر سبع سنين مخصبات)[1].

وجدير بالذكر أن الملك لم يكن بهذا التفاؤل ؛ فإنه حينما روى رؤياه للملأ ذكرها بجمـع القلـة (سـنبلات): ﴿ þ ’ Î o T Î) à 7 Î = y J ø 9 $ # t A$ s%u r
5b $ y J Å ™ ; Nº t □s) t / y ì ö 7 y ™ 3“ u ‘ r &
y ì ö 7 y ™u r Ô$ $ y f Ï ã ì ì ö 7 y ™ £ ` ß g è = à 2ù't ƒ
; M» | ¡ Î 0 $ t ƒ t □y z é & u r 9 Ž ô Øäz BM» n=ç 7 / Yß ™
’ Î û ’ Î Tq ç F øùr & _ | y J ø 9 $ # $ p k š %x r ' ¯ » t ƒ (
$ t ƒ ö ä ” □=Ï 9 ó Oç GYä. b Î) }‘ »t ƒ ö ä â ‘
Ç Í Ì È š c r ç Ž ã 9 ÷ è s? ﴾ [يوسف : 43] على قراءة القرّاء جميعًا. والله ﷻ أعلم.

ومن قرأ (سنبلات) فقراءته يراد منها جمع المؤنث السالم للاسم الجامد (سُنْبُلة)، وهو (ما جُمِعَ بألف وتاء زائدتين)[2]. وجمع المؤنث السالم من جموع القلـة[3]. فإن الجمع السالم بنوعيه يفيد القلة في الجوامد[4]. وكلمة (سنبلات) جاءت على الأصل ؛ لأن عدد السنبلات سبع سنبلات ، وهذا العدد يستعمل معه جمع القلة. وما جاء على الأصل فلا يُسأل عن علته.

المطلب الثاني : المشتقات

أولًا : المصدر

قـرأ الإمـام الصـادق ﷺ قولـه ﷻ: ﴿ □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□
□□□□□□ □ □□□□□□□□□□□□□□□□□
□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□□□
□□□□□□□□ □□ □□□□□□□□□□□□□□□□□□
□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□□ □ □
□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ ﴾ [التوبـــة : 12] بكسر الهمزة من كلمة ﴿ إِيْمان ﴾ الثانية.

[1] الجامع لأحكام القرآن : 9 / 165.
[2] المعجم المفصل في علم الصرف : 207.
[3] ينظر معاني الأبنية في العربية : 135
[4] ينظر الكتاب : 2 / 181 – 183 ، ومعاني الأبنية في العربية : 144 ، والإعجاز الصرفي في القرآن الكريم : 180.

وبها قرأ الحسن وعطاء وزيد بن علي وابن عامر رضي الله عنهم[1].

الكلمة القرائية إِيْمانَ / ء ـــِ / م ـــً / ن ـــَ /

الكلمة المصحفية أَيْـمانَ / ء ـــَ ي / م ـــً / ن ـــَ /

تتكون الكلمة من الناحية المقطعية على القراءتين من ثلاثة مقاطع : الثاني منها طويل مفتوح ، والثالث قصير مفتوح ، والفرق بين القراءتين هو في المقطع الأول ؛ إذ إن الكلمة على قراءة الإمام المقطع الأول منها طويل مفتوح ؛ أما قراءة المصحف فمقطعها الأول من نوع الطويل المغلق.

وعلى القراءتين هناك انسجام مع السياق الصوتي في العبارة (أيمانَ لهم) ؛ إذ إنها تتكون من تفعيلتين من تفعيلات بحر الخبب على الكتابة العروضية الآتية :

أَيْـمَاْ / نَ لَهُمْ إِيْـمَاْ / نَ لَهُمْ

فَعْلُنْ / فَعِلُنْ فَعْلُنْ / فَعِلُنْ

أصاب الأولى (التشعيث وهو هنا حذف العين من فاعلن فتصبح فالن وتنقل إلى فعلن بسكون العين)[2]. وأصاب الثانية (الخبن وهو هنا حذف الألف الثانية من فاعلن فتصبح التفعيلة فعلن بتحريك العين)[3].

وهذا ما أشرنا إليه في أكثر من موضع من أن الكلمة تنسجم مع سياقها الصوتي انسجامًا تامًا ؛ فإذا أتينا ببديلتها في القراءة الأخرى ، وجدناها منسجمة انسجامًا تامًا أيضًا. وهذه عبقرية تضاف إلى عبقريات النص القرآني الكريم بما يتضمنه من قراءات مختلفة.

إي / إ ـــِ / هذا التركيب الصوتي همزة متحركة يتلوها حرف علة ومد ولين من جنسها يسمى عند علماء التجويد مد البدل ، وهو المد الذي يكون فيه سبب المد

---

[1] ينظر جامع البيان : 10 / 63 ، والسبعة : 312 ، والحجة في القراءات السبع لابن خالويه : 174 ، والكشف : 1 / 500 ، والتيسير : 117 ، والكشاف : 2/ 177 ، والجامع لأحكام القرآن : 8 / 85 ، والبحر المحيط : 5 / 17 ، وإتحاف فضلاء البشر : 240 ، وغيث النفع : 237.

[2] علم العروض والقافية : 103.

[3] علم العروض والقوافي : 103.

(الهمزة) قبل حرف المد لا بعده[1]، مثل قول الله ﷻ: ﴿ t P y Š# u ä ﴾ [البقرة : 31] ، وقولــه ﷻ: ﴿ (# q è ? r é &) ﴾ [البقــرة : 101] ، وقولــه ﷻ: ﴿ / Î $ $ {M ‡ ÿ o » ` Ç ﴾ [البقرة : 108]. وأصل حرف المد همزة ، أما إذا لم يكن حرف المد منقلبًا عن همزة ، فيسمى التركيب شبيهًا بالبدل ، مثل :﴿ [ ä! $ t ±Ï ã öNè d$ t/ r & ÿ r â ä! %y ` u r ƒ t 7 ö3ä q c š È Ï Ê Ç ﴾ [يوسف : 16][2]. وللأئمة في مَدِّ البدل مذاهب ؛ فَمَدُّ البدل عند الجمهور يمد مدًا طبيعيًا ، أي : بمقدار حركتين. ولورش فيه ثلاث مراتب القصر والتوسط والإشباع ، فيمده حركتين أو أربعًا أو ستًا[3].

هذا الانزياح الصوتي في حركة الهمزة من الفتح إلى الكسر رافقه انزياح صوتي آخر في الياء ؛ فقد تحولت من حرف لين إلى حرف مد. لأن الياء لا تكون حرف مد ما لم تكن ساكنة تسبقها كسرة. فذهب علماؤنا القدماء إلى أنه يشترط في حرف المد أن تسبقه حركة من جنسه فإن سبقته حركة ليست من جنسه فهو حرف لين. ولا يكون اللين إلا مع الواو والياء ، ككلمة "قُرَيْش" و "خَوْف" في قول الله ﷻ: ﴿ { \ ƒ =n « # É % è t ƒ ÷ ·C_ È Ê Ç ﴾ [قــريش : 1]، وفــي قــول الله ﷻ: ﴿ # $!©% Ï ”ü & rÛ ô è y J y g ßO B i Ï ` _ ã q í 8 r u ä u #B tY o g ßN B i Ï ` ô z y q ö $ ¤_ È Í Ç ﴾ [قــريش : 4]. أمــا حرف الألف فلا يكون قبله إلا فتحة. واللين : هو خروج الصوت بسهولة ويسر وقلة كلفة على اللسان[4].

وجدير بالذكر أن المحدثين لا يرون أن حرف المد تسبقه حركة من جنسه ؛ بل أصبح هو ذاته حركة طويلة للصامت قبله ، كما سبق في التوجيه الصوتي المعاصر للمقاطع في كلمة (إيمان) ، فالياء قمة في المقطع الصوتي للقاعدة التي قبله وهي الهمزة[5].

1 ينظر الظواهر اللغوية والنحوية في قراءة ورش : 51.
2 ينظر فتح المعطي وغنية المقري في شرح مقدمة ورش المصري : 12 ، وحق التلاوة : 139.
3 ينظر الظواهر اللغوية والنحوية في قراءة ورش : 51.
4 ينظر الكشف : 1 / 45.
5 ينظر الظواهر اللغوية والنحوية في قراءة ورش : 50.

أما في قراءة الفتح (أَيْمان) فيكون فيها الياء نصف مصوت ؛ وهو في السلسلة النطقية يقوم مقام صامت ؛ فهو قاعدة للمقطع ، ولا يكون قمة أبدًا. والياء هنا – ومثلها كل واو أو ياء مسبوقة بفتحة – صوت احتكاكي ، اكتسب صفة الاحتكاك من الفتحة قبله ، وصوت اللين أقل وضوحًا في السمع من صوتي الواو والياء المديتين اللذين يعدان ضمة وكسرة طويلتين. أما الواو والياء المسبوقتان بفتحة فليستا بضمة وكسرة طويلتين. أي : إنهما ليستا مصوتين ؛ إنما هما نصفا مصوتين ، فضلًا عن صفة الجهر الموجودة في كليهما[1].

الكلمة من الناحية المقطعية تتشكل على النحو الآتي :

/ ء ـَـ ي / م ـًـ / ن ـَـ /

المقطع الأول فيها طويل مغلق ؛ الهمزة قاعدته الأولى ، والياء قاعدته الثانية ، وبينهما قمة هي الفتحة. فهذه الكلمة من الناحية المقطعية تطابق الأصل في قراءة الكسر ، وتخالف الصورة المستعملة منه.

في قراءة الكسر (إيمان) هذان الانزياحان الصوتيان في الكلمة أديا إلى انزياح دلالي ، إذ تحولت الكلمة نتيجة لهما إلى دلالة ثانية ، وهي مصدر الفعل (آمَنَ)[2]، وجاء هذا المصدر على وزن (إفْعال) ، نقول :(آمَنَ – يُؤْمِنُ – إيْمانًا). ومصدر (أَفْعَلَ) إذا كان صحيح الآخر يكون على وزن (إِفْعال) ، مثل : أكرم - إكرامًا ، وأحسن – إحسانًا[3]. (وكسرت همزة المصدر لخفته)[4]، والكسرة تثقله لثقلها.

الأصل الصرفي لكلمة (إيمان) أنها تكون بهمزتين : الهمزة الأولى هي همزة الوزن ، وهي مكسورة. والثانية هي فاء الفعل [إِئْمان]، ثم أبدلت - على رأي القدماء - الهمزة حرف مد من جنس حركة ما قبلها ، ولما كان مكسورًا والكسرة مجانسة للياء فالهمزة الثانية قلبت ياءً.

[1] ينظر علم اللغة العام (الأصوات): 138 ، والظواهر اللغوية والنحوية في قراءة ورش : 50.
[2] ينظر الحجة في القراءات السبع لابن خالويه 96.
[3] ينظر شذا العرف في فن الصرف : 88.
[4] الحجة في القراءات السبع لابن خالويه 97.

أما على رأي المحدثين فإن الهمزة الثانية حذفت عندهم ، وأطيل زمن النطق بكسرة الهمزة الأولى ، حتى تولد منها ياء مدية على نحو ما في الكتابة الصوتية :

الأصل الصرفي / ء ـِـ ء / م ـًـ / ن ـَـ /

اللفظ المستعمل / ء ـٍـ / م ـًـ / ن ـَـ /

ونتيجة لهذا الحذف والتطويل أصبح عندنا تغير مقطعي بين الأصل والصورة المستعملة ؛ ففي الأصل تتكون الكلمة من ثلاثة مقاطع : الأول طويل مغلق ، والثاني طويل مفتوح ، والثالث قصير مفتوح. أما الصورة المستعملة من الكلمة ففيها ثلاثة مقاطع : الأول والثاني منهما طويلان مفتوحان ، والثالث قصير مفتوح.

الفرق بين الأصل والصورة المستعملة يكمن في المقطع الأول ؛ فهو في الأصل طويل مغلق، وفي الصورة المستعملة طويل مفتوح. والذي حصل بين الأصل والصورة المستعملة هو أنه حذفت الهمزة الثانية ، وهي القاعدة الثانية للمقطع الأول ، وأطيل زمن النطق بالفتحة التي هي قمة المقطع الأول ، فتولدت منها الياء ، وبذلك تحول المقطع إلى طويل مفتوح.

أما من ناحية الدلالة فمن قرأ بالكسر قصد أنهم (لا يؤمَنون بعد نكثهم العهد ، ويحتمل أن يكون معناه : أنهم كفروا ، فلا إيمان لهم)[1]. أي : لا إسلام لهم ولا تصديق[2]. والإيمان (إذعان النفس للحق على سبيل التصديق ، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء : تحقيق بالقلب ، وإقرار باللسان ، وعمل بحسب ذلك بالجوارح)[3].

يشهد لقراءة الكسر (إيْمان) قوله ﷻ في الآية نفسها واصفًا للقوم أنفسهم بأنهم : (أئمة الكفر) ، فلا عجب أن ينفي عنهم أدنى حظ من الإيمان. فتكون الجملة (إنهم لا إيمان لهم) تعليلية ، فالمعنى يكون : قاتلوا أئمة الكفر بسبب خلو قلوبهم من الإيمان.

وتشهد لها أيضًا رواية أسباب النزول ؛ حيث ذكر العلماء في سبب نزول الآية قول ابن عباس : (نزلت في أبي سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وسائر رؤساء قريش الذين نقضوا العهد ، وهم الذين

[1] أسرار القرآن وأنوار الفرقان : 388.
[2] ينظر البحر المحيط : 5 / 17.
[3] المفردات : 36.

هموا بإخراج الرسول)[1]. فقد عَدَّ ابنُ عباسٍ في زمرة من نزلت فيهم الآية مجموعة من الأشخاص الذين كانوا عند نزول الآية كفارًا محاربين للإسلام ، وإن دخلوا في الإسلام بعد ذلك. والكفر والإيمان لا يجتمعان في قلب رجل واحد قال الله ﷻ: ﴿ B ¨ $ _ y è y@Ÿ # $! ª 9 Ï□t _ ã@ 9 B i Ï `
s%=ù 7 t ü÷ú É û Î ' _ y q öù Ïm... È í Ç ﴾ [الأحزاب : 4].

وقد يراد بقراءة الكسر (إيْمان) مصدر الفعل المتعدي "آمنته" (أي : لا تؤمنوهم ولكن اقتلوهم حيث وجدتموهم ، كأنه أراد المصدر من قول القائل :"آمنته ، فأنا أومنه إيمانًا")[2].

ومن قرأ بالفتح (أَيْـمان) أراد جمع يمين[3] على وزن (أَفْعال)، وهو وزن من أوزان جموع القلة[4]. واليمين هو القسم ، أي : إن المشركين لا يحفظون أيمانهم. وللكلمة جمع آخر وهو "أَيْمُن"[5]، (فمعناه أنهم لا يحفظون العهد واليمين)[6]. وقد فتحت همزة الجمع في هذا الوزن لثقله ، والفتحة تخفف من ثقله[7].

والنفي منصب على الأيمان في الظاهر مع أن المشركين كانت عندهم أيمان ، لكنهم لم يكونوا يفون بها ! فكيف انصب النفي على الأيمان أنفسها ؟ وعلى ذلك جوابان :

الأول : النفي للأيمان نفي لأداء تلك الأيمان لوظيفتها ؛ فالأيمان إذا لم تؤدِّ وظيفتها من الوفاء بها والانتفاع بها في حفظ الكلمة فكأنها لا وجود لها. كما قال ﷻ عن الكفار: ﴿ ¼ à L B / ç 3 õN í ã ã J ô ‘ Ò ù s g ßN ö wŸ
ƒ t □ö _ Å è ã q b t È Ñ Ê Ç ﴾ [البقرة : 18] مع أنهم كانوا يسمعون ، ويتكلمون ، وينظرون ولكن لما كانت هذه الحواس لم تؤدِّ وظيفتها الحقيقية - وهي

[1] أسباب النزول للواحدي : 211.
[2] جامع البيان : 6 / 330 ، وينظر تهذيب اللغة : 15 / 515 ، والبحر المحيط : 5 / 17.
[3] ينظر جامع البيان : 6 / 329 ، والحجة في القراءات السبع لابن خالويه : 96.
[4] ينظر شذا العرف في فن الصرف : 132.
[5] ينظر الصحاح مادة (يمن): 1282 ، والقاموس المحيط مادة (يمن): 1241.
[6] أسرار القرآن وأنوار الفرقان ورقة : 388.
[7] ينظر الحجة في القراءات السبع لابن خالويه : 97.

الوصـول بصـاحبها إلـى الإيمـان - فقـد نفاهـا الله ﷻ عـنهم ، كأنهـا لا وجـود لهـا. فالأيمان هم يقسمونها ، لكنهم لا يحافظون عليها ، ويعملون بخلاف مقتضـاها. لذلك فكأنها لا وجود لها ، قال أبو حيان : (لما لم يثبتوا عليها ، ولا وفوا بها جعلوا "لا أيمان لهم")(1).

الثاني : النفي يكون على تقدير صفة محذوفة. والمعنى لا أيمان صادقة لهم. (أي ليست عهودهم صادقة يوفون بها)(2). وحذف الصفة موجود في القرآن الكريم كقوله ﷻ: ﴿ ur tb %x . u r ‘ u # !ä u d Nè B ¨= Î 7 Ô ƒ t ù't } è ‹ ä

@ä. ™ ¨ y ÿ Ï Š Z u p< î x Á ó 7 Y $ È Ò Ð Ç ﴾. [الكهـــــف : 79] بمعنى : يأخذ كل سفينة صالحة. ومحصلة الكلام (إن رؤساء الكفر لا عهد لهم)(3).

ويشهد لقراءة الفتح السياق الذي جاءت فيه الكلمة فقد قال الله ﷻ في صدر هذه الآيـــة نفســـها : ﴿ ur) Î b R ¯ 3 W s è q þ #) (& r ƒ ÷ J y » Z u g ß N B i Ï ` . / t è ÷ ‰ Ï % ã g ô ‰ Ï ‰ d Ï NÏ ö ﴾ بالفتح ، فهو كلام على نقض المشركين للأيمان ، وهي كما ذكر ابن كثير: (عهودهم ومواثيقهم)(4). وقوله في الآيـــــــــة بعـــــــــدها ﴿ & Ÿw è ? s) » G Ï = è q c š %s ö q ö B Y $

R ¯ 3 W s è q þ #) (& r ƒ ÷ J y » Z u g ß O ó r u d ‘ q #) (

/ Î * Î z ÷) t # Æ# $ 9 §™ ß q A É r u d Nè

/ %t y ä ö r â 2r Nà ö & r r ¨ ^ š B t § 4 Bo

& rB r ƒ ø ± t q ö R t g ß O ó 4 sù $ $! ª & r m y , ‘ & r b

B r ƒ ø ± t q ö n ç) b Î . ä Z F ç O B •s ÷ B Ï Z Ï ü ú š È Ê Ç ﴾.

[التوبة : 13] فالكلام كله يجري على (الأيمان) قبل الكلمة وبعدها. فالسياق يشهد لهذه القراءة.

واليمين مأخوذ من اليمين الذي هو عكس الشمال وهي اليد اليمنى. يقول الأصفهاني : (واليمين في الحلف مستعار من اليد ، اعتبارًا لما يفعله المعاهد

---

1 البحر المحيط : 5 / 17.

2 الجامع لأحكام القرآن : 8 / 74 ، وينظر البحر المحيط : 5 /17.

3 ينظر جامع البيان : 6 / 330 ، والنشر في القراءات العشر : 2 / 209.

4 تفسير القرآن العظيم : 2 / 424.

والمحالف)[1] إذ إنهم (كانوا إذا تحالفوا ضرب كل امرئ منهم يمينه على يمين صاحبه)[2]. وفي هذا تم الانتقال الدلالي لكلمة (يمين) من دلالة اليد إلى دلالة القسم. وهذا هو الطريق المنطقي في الانتقال الدلالي وهو الانتقال من الحسي - أي المدرك بالحواس - إلى العقلي المجرد أي : المدرك بالعقل.

۞ ۞ ۞

وقـرأ الإمـام جعفـر الصـادق عليه السلام قـول الله عز وجل: ﴿□□□□□□□ □
□ □□□□□□□□□□ □□□□ □□□□□□□□
□ □□□□□□□□□ □ □□□□□□ □□□□□
□ □□□□□□□□ □□□□□□□ □□ □□□□□□□□□□□□□
□□□□□ □ □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ □
□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□□□ □ □□□□□□
□ □□□□□□□□□□□□□ □□□□ □ □□□□□□ □ □□□□
□□□□□□□ □□□□□□ □□□□□□
□□□□□□□□□□□□□□□ □□ □ □□□□□ □□□□□□□□□
□ □□□□□□□□□□ □ □□□□□□□□□□□□□□ □□□□﴾
[التوبة : 37] من دون همزة ، بإسكان السين وحذف الهمزة من ﴿ النَّسْيُ ﴾.

وهي قراءة ابن كثير والزهري والعلاء بن سيابة والأشهب وشبل رضي الله عنهم[3]. وللإمام الصادق عليه السلام قراءة أخرى (النَّسِيُّ).

وهي قراءة الأشهب والزهري رضي الله عنهما[4].

1- النَّسْيُ ء ــَــ ن / ن ــَــ س / ي ــُـ

2- النَّسِيُّ ء ــَــ ن / ن ــَــ / س ــِــ ي / ي ــُـ

---

[1] المفردات : 554.

[2] الصحاح مادة (يمن): 1282.

[3] ينظر إعراب القرآن للنحاس : 2 / 16 ، والتبيان في إعراب القرآن : 2 / 8 ، والسبعة : 314 ، والكشاف : 2 / 189 ، ومجمع البيان : 5 / 28 ، والمحتسب : 1 / 287. وتنظر القراءة في معجم القراءات القرآنية : 3 / 18.

[4] ينظر إعراب القرآن للنحاس : 2 / 16 ، والبحر المحيط : 5 / 39.

3- النَّسِيْءُ ء ـَـ ن / ن ـَـ / س ـٍـ / ء ـُـ

الكلمة القرائية الأولى تتكون من ثلاثة مقاطع : الأول والثاني منها من نوع الطويل المغلق ، والثالث من نوع القصير المفتوح.

الكلمة القرائية الثانية تتكون من أربعة مقاطع : الأول من نوع الطويل المغلق ، والثاني قصير مفتوح ، والثالث من نوع الطويل المغلق ، والرابع قصير مفتوح.

الكلمة المصحفية تتكون من أربعة مقاطع : الأول من نوع الطويل المغلق ، والثاني قصير مفتوح ، والثالث طويل مفتوح ، والرابع قصير مفتوح.

أما قراءة (النَّسْيُ) (مخففًا في وزن "الهَدْي" بغير همز)[1]، فإنه يمكن حملها على ثلاثة أوجه :

الأول : أنه أراد "النَّسْء" وأبدلت الهمزة ياءً ، كما أبدلت في قول الشاعر :

أَهْبَى التُّرابَ فَوْقَهُ إِهْبايا[2]

الثاني : أنه أراد وزن "فَعْل" من الفعل "نَسِيَ"؛ فالنسيءُ هو التأخير ، (والشيء إذا أُخِّرَ ودوفع به فكأنه مَنْسِيٌّ)[3].

الثالث : -(وفيه الصنعة - أنه أراد النَّسِيْءَ على "فَعيل"، ثم خفف الهمزة ، وأبدلها ياءً ، وأدغم فيها ياء "فَعِيْل"، فصارت "النَّسِيّ"، ثم قصر "فَعِيْلًا" بحذف يائه ، فصار "نَسٍ"، ثم أسكن عين "فَعِيْل"، فصار "نَسْيٌ". ومثله مما قُصِرَ من "فَعِيْل"، ثم أسكن بعد الحذف قولهم في سميح : سَمْح ، وفي رطيب : رَطْب ، وفي جديب : جَدْب)[4].

ومن قرأ "النَّسِيُّ" (بالياء من غير همزة ... سهل الهمزة بإبدالها ياءً وأدغم الياء فيها كما فعلوا في "نبيء" و "خطيئة" فقالوا : "نَبِيّ" و "خَطِيّة" بالإبدال والإدغام)[5].

---

[1] المحتسب : 1 / 287.
[2] ينظر المحتسب : 1 / 287 ، وأهبى الفرس التراب : أثاره. [الصحاح مادة (هبى): 1184]
[3] المحتسب : 1 / 288.
[4] المحتسب : 1 / 288.
[5] البحر المحيط : 5 / 42.

ومن قرأ "النَّسِيْءُ" فعلى وزن "فَعِيل" بالهمزة لأنه من الفعل (نَسَأَ)، وقد جاءت الكلمة على أصل الوزن ، من دون تغيرات صوتية لا إبدال ولا إعلال.

واختلف العلماء في انتماء هذه الكلمة إلى أي نوع من المشتقات على رأيين :

الأول : هو مصدر الفعل (نَسَأَ)[1]. لذلك شرحها مكي بقوله : (النسيء : التأخير)[2].

الثاني : (هو "فَعِيل" بمعنى "مَفْعول" من "نَسَأَه" : إذا أخره ، فهو "مَنْسوء" ، ثم حُوِّل "مَفْعُول" إلى "فَعِيْل" ، كما حول "مقتول" إلى "قتيل")[3].

<u>ثانيًا :</u> مبالغة اسم الفاعل

أ – على وزن (فِعِّيل)

قرأ الإمام الصادق ﴿﴾ قوله ﷻ: ﴿ [illegible] ﴾ [سورة النساء : 171] (المِسِّيح) بوزن (سِكِّيت) وهي من انفراداته[4].

الكتابة المقطعية للكلمة تبين الاختلافات الصوتية بين الكلمة على القراءتين :

1 ينظر الكشاف : 2 / 262 ، وإعراب القرآن الكريم وبيانه : 3 / 213.
2 العمدة في غريب القرآن : 147
3 إعراب القرآن الكريم وبيانه : 3 / 213.
4 ينظر الكشاف : 1 / 580 ، والبحر المحيط : 3 / 417 ، ومعجم القراءات القرآنية : 2 / 183.

الكلمة القرائية (المِسِّيح) ء ـَـ ل / م ـِـ س / س ـِـ / ح ـُـ

الكلمة المصحفية (المَسيح) ء ـَـ ل / م ـَـ / س ـِـ / ح ـُـ

الكلمة على القراءتين تتكون من أربعة مقاطع : فعلى قراءة الإمام المقطعان الأول والثاني من نوع الطويل المغلق ، والثالث من نوع الطويل المفتوح ، والرابع قصير مفتوح. أما على قراءة المصحف فإن المقطع الأول من نوع الطويل المغلق ، والثاني والرابع قصيران مفتوحان ، والثالث طويل مفتوح. فالفرق بين الكلمة على القراءتين يكمن في المقطع الثاني ؛ فعلى قراءة الإمام هو طويل مغلق ، وعلى قراءة المصحف هو قصير مفتوح. فضلًا عن كون قمة المقطع الثاني على قراءة الإمام كسرة ، وعلى قراءة المصحف فتحة.

من التحليل الصوتي المقطعي السابق يتبين أن قراءة الإمام أصعب من قراءة المصحف من وجهين:

الأول : وجود صوت السين الساكن الأول من المشدد ، وهو صوت غير موجود في الكلمة على قراءة المصحف.

الثاني : كسرة الميم في قراءة الإمام أصعب من فتحتها في قراءة المصحف ؛ لأن الكسرة أقوى من الفتحة.

وهذه الصعوبة في اللفظ تتناسب مع الصعوبات التي لاقاها عبد الله ورسوله عيسى عليه السلام في تبليغ دعوة الله سبحانه وتعالى ، وفي شفاء المرضى ، لاسيما وأنه كان يبلغ أصعب الأمم بني إسرائيل قتلة الأنبياء الذين كذبوه ، وأرادوا قتله.

المقصود بكلمة (المسيح) لقب لنبي الله عيسى بن مريم عليه السلام[1]. وهو شخصية محورية ورئيسة في جميع الديانات الإبراهيمية[2].

وقد غلب عليه هذا اللقب حتى صار كأنه اسم له. واختلف العلماء في هذه الكلمة أعربية الأصل هي أم معربة من لغة أخرى ؟ وكان لهم فيها الرأيان الآتيان :

[1] ينظر الرائد : 2 / 1379.
[2] تنظر الموسوعة الحرة (ويكابيديا) : مادة (المسيح).

الرأي الأول : ذهب إلى أن اللفظ عربي[1]. (واخْتُلِفَ أهو مشتق من السياحة ؟ فيكون وزنه "مَفْعِلًا" ، أو من المسح فيكون وزنه "فَعيلًا")[2].

الرأي الثاني : يرى أصحاب هذا الرأي أن هذه الكلمة غير عربية الأصل ، فقد كانت (مْشوحا)[3] أو (مْشيحا)[4]، فعربت ، فصارت (المسيح).

واختلف أصحاب هذا الرأي في الجنسية الأصلية لهذه المفردة بين قائل : إنها عبرية[5]، وقائل : إنها سريانية[6]، يقصدون أنها عُرِّبَتْ من تلك اللغات.

وقد رد الإمام الطبري القائلين بعدم عروبة الكلمة ، بحجة أن أمثلتهم الأخرى التي ذكروها في المعرب أسماء ، وكلمة المسيح صفة ،(وغير جائز أن تخاطب العرب وغيرها من أجناس الخلق في صفة الشيء إلا بمثل ما تفهم عمن خاطبها. ولو كان المسيح من غير كلام العرب ، ولم تكن العرب تعقل معناه ما خوطبت به)[7]. ويتلخص رد الإمام الطبري باعتراضين :

أولهما : أن الصفات لا تعار في اللغات ، إنما الذي يعار هو الأسماء. وكلمة "المسيح" صفة فلا يمكن أن تعار.

وثانيهما : أن مخاطبة القوم بغير لغتهم لا يجوز. فإذا كانت كلمة (المسيح) غير عربية ، فكيف خوطب بها العرب في القرآن الكريم ؟

أما عن إعارة الصفات ، فيمكن الرد عليه بردين :

الأول : هو أن هذه اللغات الثلاث من فصيلة اللغات السامية ، وهي تشترك في ما بينها كثيرًا في الأصول ؛ بل وحتى في بعض الخصائص الصرفية والصوتية والدلالية. وتعد لغاتهم عائلة لغوية واحدة ؛ ويفترض المختصون وجود لغة سامية قديمة تسمى (السامية الأم)، ومنها تفرعت اللغات السامية المعروفة[8]. وعلى هذا

---

[1] ينظر جامع البيان : 4 / 373 ، والبحر المحيط : 2 / 475.
[2] البحر المحيط : 2 / 475 ، وقد ضبط الوزن خطًا مع أن النص محقق.
[3] ينظر المفردات : 470.
[4] ينظر دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس تأريخيًا وموضوعيًا : 80.
[5] ينظر جامع البيان : 4 / 373 ، والمفردات : 470 ، والبحر المحيط : 2 / 475 ، ودراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس : 80.
[6] ينظر جامع البيان : 4 / 373.
[7] جامع البيان 4 / 373.
[8] ينظر دروس في اللغة السريانية : 7.

فإن هذه اللغات يمكن أن تشترك في الكلمات والأوزان فلا غرابة أن تتشابه في الصفات لا على سبيل الإعارة ، بل على سبيل الانحدار من (السامية الأم) في اللغات الثلاث جميعًا.

الثاني : أن هذه الصفة غلبت على النبي عيسى عليه السلام، حتى صارت كأنها اسم. وهذا حال الصفات ؛ فإنها قد تنوب عن موصوفها في كثير من السياقات ، فتصبح كأنها اسم. كما هو الحال في أسماء السيف ، مثل : البتار والصارم والهندي ونحوها.

أما الاعتراض الثاني وهو كيف يمكن مخاطبة قوم بغير لغتهم ؟ فيمكن الإجابة عنه جوابين :

الأول : إن الكلمة يمكن أن تكون قد انحدرت من (السامية الأم)، وعلى هذا فلا إشكال في الموضوع ، فقد انحدرت في اللغات الثلاث جميعًا دون أن تكون معارة. فإنها ستكون مفهومة للجميع على اختلاف اللغات التي ينتمون إليها.

الثاني : إن تعبير علمائنا بأن الكلمة عبرية أو سريانية يعنون به : أنها عبرية الأصل أو سريانية الأصل. ثم دخلت العربية ، واستعملت فيها ، واكتسبت الجنسية العربية بعد استعمالها من قبل عرب موثوق بفصاحتهم في عهد نزول القرآن الكريم أو قبله. ولذلك فهي من نوع المُعَرَّب ؛ على افتراض أنها مقترضة من اللغتين العبرية أو السريانية.

وبعد : فالقرآن الكريم كتاب هداية ؛ يقتضي أن يخاطب الناس بما يفهمون ، لأن الهدف من مخاطبة الناس به هو إيصال المفاهيم التي تحوي المنظومة الفكرية الجديدة (الإسلام). الأمر الذي يستعمل اللغة أداة له. فإذا كانت اللغة المستعملة غير مفهومة فإن حلقة التواصل بين المرسل والمستقبل ستنفصم ، وهذا يتنافى مع الإفهام اللامتناهي الذي يعد من أهم مميزات العبارة القرآنية. يقول الجاحظ عن الله سبحانه وتعالى أنه (مدحَ القرآن بالبيان والإفصاح ، وبحسن التفصيل والإيضاح ، وبجودة الإفهام وحكمة الإبلاغ ، وسماه فرقانًا ، كما سماه قرآنًا)[1]. فيجب أن يرمز المرسل

[1] البيان والتبيين : 1 / 26.

المفاهيم برموز لغوية تقع ضمن المعجم القومي للقوم المخاطبين بالرسالة بحيث يستطيع هؤلاء القوم حل رموز العبارات. ذهب أهل الإعلام إلى أن المرسل يجب (أن تكون لغته مفهومة للجمهور ، أي : إن تكون معاني الرموز واحدة لدى المرسل والجمهور)[1].

والباحث على معرفة بسيطة بأوليات اللغتين العبرية والسريانية ، وقام بسؤال المختصين في اللغتين ، وبعد البحث تبين أن الكلمة موجودة في اللغة العبرية ، وهي هي في اللغة السريانية ، فضلًا عن تفشي الكلمة على ألسنة الناطقين باللغة السريانية. والكلمة تلفظها بالخط العربي هو (مْشيخا) في تلفظ الكنائس المشرقية ، و(مْشيحا) في تلفظ الكنائس المغربية البابوية.

لقد كتبت الأناجيل باللغة السريانية إلا إنجيل (مَتّى) الذي كتب باللغة العبرانية (لأنه كتب لليهود)، وقيل : كتب بالآرامية أو السريانية[2]. وعلى كل هذه الآراء فإن اللغة التي كتبت بها كل الأناجيل - بما فيها إنجيل متى - هي لغة سامية ؛ واللغات السامية تشترك في ما بينها بكثير من الكلمات ، فحتى لو كانت كلمة (المسيح) غير عربية ، عبرية أو سريانية فإمكانية احتمال كونها مفهومة للعرب موجودة وواردة ، ولا يمكن تجاهلها ؛ لوجود مبحث خاص في علم اللغة اسمه المشترك السامي الذي يدرس القاموس المشترك بين اللغات السامية. والكلمة - كما سبق - موجودة في اللغة العبرية واللغة السريانية بلفظ مقارب جدًا للكلمة العربية ، ولها المعنى نفسه في اللغات الثلاث ، فكيف لا يفهمها العرب ؟

من جهة أخرى فإن وجود كلمة غير عربية في القرآن قَدْحٌ في عروبته. وعروبة القرآن الكريم أمر لا جدال فيه ، ولا مراء ، قال الله ﷻ: ﴿ ! $ ¯ RÎ (
$ wŠÎ / t □t ã $ º Rº u äö □è % ç m» o Yø 9 t “ Rr &
9© è y= ¯3 äN ö ?s è÷) É= è q c š È Ë Ç ﴾ [يوسف : 2] واستعمال كلمة غير عربية فيه كان يمكن أن يكون مطعنًا قويًا للمشركين الذين كانوا أشد الناس حرصًا على الطعن فيه وانتقاده. ومع ذلك لم ينبس أحدهم ببنت شفة في هذا

---

[1] اللغة في عملية الاتصال الجماهيري : 22.
[2] ينظر دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس : 134 ، 253.

الاتجاه ، وهذا دليل على أن عدم عروبة الكلمة لم يكن أمرًا مطروحًا عند العرب آنئذٍ.

ديدن اللغات أنها يقترض بعضها من بعض ، ويعد المختصون بالكلمات المعربة أن وجود اشتقاقات الكلمة في اللغة طريقة مهمة من طرائق معرفة هوية الكلمة. فإذا وجدت اشتقاقات الكلمة في العربية فهي عربية ، وهذا الأمر ليس على إطلاقه ، فإن هناك تشابهًا كبيرًا بين اللغات السامية ، وهذا التشابه لا يقتصر على الألفاظ ؛ بل يتعداه إلى التشابه في النظام الصوتي والصرفي وكيفية اشتقاق الكلمات بين اللغات التي تنتمي إلى هذه الفصيلة اللغوية. ولذلك فليس وجود مشتقات كلمة (المسيح) في اللغة العربية دليلًا على عروبة أصل الكلمة ؛ فإن الكلمة يمكن أن تدخل اللغة العربية هي ومشتقاتها ؛ بسبب وجود القرابة اللغوية بين اللغتين ، وتشابه النظام الصرفي الذي تقوم اللغتان باشتقاق الكلمات عن طريقه.

بعد تتبع الكلمة في اللغات تبين أنها انتقلت من العبرية إلى السريانية ، ثم من السريانية إلى العربية ، وكان انتقالها من العبرية إلى السريانية بسبب كون الديانة النصرانية تعد التوراة جزءًا من كتابها المقدس ، فلا عجب أن تنتقل هذه الكلمة إلى النصرانية مع المفهوم الموحى من الله ﷻ الموجود في الديانات الثلاثة.

كانت الكلمة في اللغة العبرية القديمة تعني الممسوح بالدهن ، وهي صفة عامة لكل من دُهِنَ بالدهن المبارك من الملوك والأحبار ، بعد ذلك بدأت تطلق على المسيح الموعود ، وهو في العقيدة اليهودية الشخص المثالي من ذرية النبي الملك داود عليه السلام وهم إلى الآن ينتظرونه[1]. لأنهم لم يؤمنوا بعيسى عليه السلام عندما بُعِثَ ، وهو عندهم المسيح الدجال ، وحاشاه ، ونستغفر الله ﷻ من ذلك. وغير خافٍ أن الكلمة مرت بالتضييق الدلالي ، فبعدما كانت تدل على كل الملوك والأنبياء والأحبار صارت تدل على عيسى عليه السلام لوحده.

أما انتقال الكلمة من السريانية إلى العربية فلنا في التاريخ دليل على ما ذهب البحث إليه ؛ إذ يذكر المؤرخون أن بعض القبائل العربية تنصرت قبل الإسلام ،

[1] تنظر الموسوعة الحرة (ويكابيديا) : مادة (المسيح).

ومنها قبيلة طيء. وهي قبيلة كان لها تاريخ حافل ، وأثرها واضح في تاريخ العرب قبل الإسلام لا سيما التاريخ اللغوي. فقد كثر الاستشهاد بلغة طيء في كتب اللغة ؛ الأمر الذي قد يرسم لنا خريطة واضحة لانتقال الكلمات الدالة على المعاني النصرانية من اللغة السريانية إلى اللغة العربية. حينما تم شرح تعاليم الدين النصراني دارت على ألسنة القساوسة المبشرين بالدين النصراني كلمات كثيرة ، وهم من السريان الذين تجاورت ديارهم مع ديار قبيلة طيء ، فتلقى المدعوون إلى النصرانية من العرب هذه الكلمة ، وأخذوها مع المحتوى الديني الوافد ، وأخذوا يتداولونها ، وبذلك دخلت لغتهم ، وصارت كلمة معربة. وكونها سريانية الأصل لا يقدح في عروبتها ، فكثير من الكلمات دخلت العربية من غيرها من اللغات ، وانصهرت في بوتقة العربية وصارت جزءًا من معجمها ، ونطق بها عرب في عصر الفصاحة ، فلا مطعن في عروبتها مع مجيئها من أصل غير عربي. وبالنسبة لكلمة (مسيح) فإنها استعملت في العربية والسريانية بالمعنى نفسه فلا غرابة أن يفهمها العرب.

من كل ذلك يتضح لنا الالتباس الذي ورد في اعتراض الإمام الطبري على هذا الرأي القائل بعجمتها. ولعل عذره في ذلك أنه أراد تنزيه العربية عن الاحتياج إلى غيرها. ومعلوم أن العرب قبل الإسلام كانوا وثنيين ، والوثنيون بهم حاجة إلى هذه المفاهيم الآتية من النصرانية ، فلا عجب أن تدخل هذه الكلمة العربية ، لا سيما وأنها تمثل حجر الزاوية في الدعوة النصرانية ، فإنها تأتي مع أول لقاء دعوي.

وجدير بالذكر أن كلمة (مْشيحا)لم تدخل العربية فقط ؛ بل دخلت الإنكَليزية (Messiah)[1]. فقد استخدمت في أقدم نسخة يونانية للإنجيل ، وانتشرت منه إلى باقي اللغات الأوربية ، فدخلت اللغة الروسية أيضًا والفرنسية والألمانية والإيطالية وغيرها من اللغات الأوربية[2]. ومما لا شك فيه أنها دخلت مع محتواها الفكري النصراني نتيجة لكون هذه الشعوب تدين بالنصرانية.

[1] OXFORD P : 471.

[2] تنظر الموسوعة الحرة (ويكابيديا) : مادة (المسيح).

فعلى قراءة (المِسِّيح) تكون الكلمة على وزن (فِعِّيل) مثل (سِكِّيت)، وقد صيغت على وزن (فِعِّيل) ، وهو وزن عربي مشهور في الدلالة على صيغة المبالغة. و(يأتي هذا البناء اسمًا وصفة ، فالاسم نحو: السِّكِّين والبِطِّيخ ، والصفة نحو الشِّرِّيْب والفِسِّيق ، وهذا البناء سماعي عند الجمهور)[1]، مع كثرته وتفشيه في الدلالة على المبالغة ، هذه الكثرة هي التي دفعت المجمع اللغوي القاهري إلى القول بقياسيته. وهذا نص القرار: (في اللغة ألفاظ على صيغة "فِعِّيل" ، من مصدر الفعل الثلاثي اللازم والمتعدي للدلالة على المبالغة ؛ وكثرتها تسمح بالقول بقياسيتها ، ومن ثم يجوز أن يصاغ من مصدر الفعل الثلاثي – لازمًا أو متعديًا – لفظ على صيغة "فِعِّيل" – بكسر الفاء وتشديد العين - لإفادة المبالغة)[2].

وقد تتبع الدكتور خميس فزاع الدليمي وزن "فِعِّيل" في القرآن الكريم ، فوجد أن الكلمات التي جاءت على وزن "فِعِّيل" خمسة ألفاظ هي[3]:

ت	الأصل اللغوي	اللفظ	اسم السورة ورقم الآية
1	سجل	سِجِّيل	هود : 82 ، الحجر : 74 ، الفيل : 4
2	سجن	سِجّين	المطففين : 7 ، 8
3	صدق	صِدِّيق	النساء : 69 ، المائدة : 75 ، يوسف : 46 ، مريم : 41 ، 56 ، الحديد : 19
4	علا	عِلِّيِّين	المطففين : 18 ، 19
5	قسّ	قِسِّيس	المائدة : 82

فوجد أن الألفاظ التي وردت عليه في القرآن الكريم أكثر من الألفاظ التي جاءت على وزن "مِفْعال" القياسي. فإنه لم يرد على وزن (مِفْعال) إلا لفظان هما[4]:

ت	الأصل اللغوي	اللفظ	اسم السورة ورقم الآية

[1] أبنية المبالغة ودلالاتها في القرآن الكريم : 59 ، وينظر شذا العرف في فن الصرف : 74.
[2] مجلة المجمع اللغوي القاهري (1967) البيان : 9.
[3] ينظر أبنية المبالغة ودلالاتها في القرآن الكريم : 60 – 61.
[4] ينظر أبنية المبالغة ودلالاتها في القرآن الكريم : 61.

1	رصد	مِرْصاد	النبأ : 21 ، الفجر : 14
2	درر	مِدْرار	الأنعام : 6 ، هود : 52 ، نوح : 11

فوزن "فِعِّيل" أكثر ورودًا من "مِفْعال"، وبتحليل بسيط نجد أن وزن "فِعِّيل" ورد في القرآن الكريم بعدد مرات يساوي ضعفين ونصف الضعف لعدد مرات ورود وزن "مِفْعال"، ناهيك عن كلمات كثيرة وردت على وزن "فِعِّيل" في نصوص العرب للدلالة على معنى المبالغة ، مثل : شِرِّيب للمولع بالشراب ، وسِكِّيت للدائم السكوت وغيرها كثير[1]. وهذا الوزن يستعمل (للدلالة على المولع بالفعل ، فيديم العمل به ، أو يكون له عادة)[2].

وذكر أصحاب المعجمات أن معنى المِسِّيح هو الكثير السياحة[3]، والسياحة هي عبادة من عبادات النصرانية في وقت سيدنا عيسى بن مريم ﷺ وتلاميذه ،(وذلك أنه كان في زمانه قوم يسمون المشائين والسياحين لسيرهم في الأرض)[4]؛ وتقتضي أن يسافر الرجل العابد لينشر الخير والعلم بين الناس. وليس معنى ذلك أنها مشتقة من الفعل "ساح" إذ لو كان الأمر كذلك لم تكن على وزن "فِعِّيل"، بل على وزن "مِفِّعْل"، ولا أظن أن هذا الوزن موجود في العربية. ولذلك فهي ترجح كون الكلمة دالة على من يكثر المسح في الأرض ، أو المسح على المرضى فيشفيهم ، بحيث هذه حاله العادية ؛ فهو مَشّاء في الأرض يمسحها ، يدعو الناس إلى دين الله ﷻ ، فدعوته تصلح باطن الناس ، وهو في طريقه يشفي المرضى بالمسح على أعضائهم المريضة ، فيشفون بإذن الله ﷻ. وهو مولع بالفعلين معًا ، ويديم العمل بهما ، وهما له عادتان اعتادهما.

والكلمة في طريق تعريبها ودخولها إلى العربية خضعت للنظامين الصوتي والصرفي العربيَّين. فعلى قراءة (المِسِّيح) حُرِّكَت الميم من كلمة (مْشِيْحا) بالكسر ؛

[1] ينظر أدب الكاتب : 330 ، وديوان الأدب : 1 / 339 ، وتصريف الأسماء والأفعال : 42 ، ومعاني الأبنية في العربية : 119.
[2] أبنية المبالغة ودلالاتها في القرآن الكريم : 60.
[3] ينظر المنجد : 760 ، والرائد : 2 / 1379.
[4] المفردات : 470.

لأن العرب لا تبدأ بساكن ، ولأن الكسرة موجودة في الوزن المراد النقل إليه وهو وزن "فِعِّيل" ، وقلبت الشين سينًا ، وشددت ملاءمة للوزن المراد النقل إليه ، وحذفت الألف من نهاية الكلمة السريانية ليستعاض عنها بالألف واللام في بداية الكلمة العربية ، وكلاهما علامة للتعريف في الكلمة.

وأما قراءة (المَسيح) فعلى وزن "فَعِيل" ، وجمعه مُسَحاء ومَسْحَى[1]. فإن كلمة (مْشيحا) انتقلت إلى اللغة العربية ، وهي في طريقها إلى العربية تعرضت إلى بعض الانزياحات الصوتية ؛ فقد انتقل صوت الشين إلى سين مع وجود الشين في العربية. وهذا كثير بين اللغات السامية مثل : كلمة(موشيَ) حيث صارت (موسى)، وحذفت الألف في آخر الكلمة السريانية ، واستعيض عنها بنظيرتها في العربية الألف واللام. وحركت الميم بالفتح في بدايته لأن العرب لا تبدأ بساكن. وبغية تحقيق الانسجام التام بين الكلمة والوزن "فَعيل". فخضعت الكلمة للنظام الصوتي نتيجة لتحريك ميمها بالفتح ، وعدم وجود صوت يخالف أصوات العربية ، وخضعت للنظام الصرفي العربي بأن صيغت على وزن "فَعيل"، وقد اختلف في معنى الوزن على مذهبين :

أولهما : إنه على وزن "فَعِيل" بمعنى "مَفْعول". يقول الإمام الطبري :(وأصل المسيح الممسوح ، صرف من "مَفْعول" إلى "فَعيل")[2]. فاسم المَفْعول (قد يكون على وزن "فَعيل" كـ "قَتيل" و "جَريح")[3]. وقد نص العلماء على أكثر من علة لتسمية المسيح بهذا الاسم :

1 - المسح بالدهن. إنه (سمي بذلك لأنه خرج من بطن أمه ممسوحًا بالدهن)[4]. ويبدو أن هذه أصبحت صفة ملازمة له ، لا تفارقه ، وقد وصفه النبي ﷺ عند نزوله قرب الساعة بأنه واضع (كفيه على أجنحة ملكين ؛ إذا طأطأ رأسه قطر ، وإذا رفعه تَحَدَّر منه جمان كاللؤلؤ)[5].

---

[1] ينظر المنجد : 760 ، والرائد : 2 / 1379.
[2] جامع البيان : 4 / 373.
[3] شذا العرف في فن الصرف : 75.
[4] المفردات : 470.
[5] الحديث صحيح رواه مسلم في صحيحه : 1695 - 1696 برقم (2937).

وعند النصارى المسحة كانت مألوفة بالدهن المقدس ؛ فقد جاء في الإنجيل :(وتصنعه دهنًا مقدسًا للمسحة)[1]، فيكون معنى المسيح هو الممسوح بالزيت المقدس ، وهو زيت الزيتون (يَلِيْ) الذي كان يُمْسَح به الملوك والكهنة والقساوسة عند تنصيبهم ، والأنبياء عند بعثتهم[2].

2 - التطهير من الذنوب. أي : إن الله ﷻ سماه بذلك لتطهيره إياه من الذنوب. لذلك ذكر الطبري أنه (مُسِحَ من الذنوب والأدناس التي تكون في الآدميين ، كما يمسح الشيء من الأذى الذي يكون فيه ، فيطهر منه)[3]. ويقال : إن جبريل ﷺ مسحه بجناحه حتى لا يكون للشيطان سبيل إليه[4]. وهو معنى مصطلح عصمة الأنبياء عند المسلمين. الأمر الذي ذكر في نص حديث الشفاعة ، وفيه أن عيسى لم يذكر ذنبًا حين اعتذر عن التشفع[5].

وقيل : معنى (مسحه الله ، أي : خلقه مباركًا حسنًا ، أو خلقه ملعونًا قبيحًا)[6]، وقيل : الصِّدِّيق والكَذّاب[7]. فالأوليان في حق عيسى ﷺ، والثانيتان في حق الأعور الدجال.

الرأي الثاني : أنه فَعيل بمعنى فاعِل. وهو أمر وارد في الصرف يقول الحملاوي : (وقد يأتي "فعيل" مرادًا به "فاعل" كـ "قدير" بمعنى "قادر")[8]. وبذلك وبذلك تكون كلمة "مسيح" بمعنى "ماسح". وذكروا علتين لتسميته على هذا الرأي :

---

[1] إنجيل يوحنا الإصحاح 30 الآية 25.
[2] ينظر دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس : 80 ، والموسوعة الحرة فيكيبيديا : مادة (مسيح).
[3] جامع البيان : 4 / 373.
[4] ينظر الكليات : 725.
[5] وهو حديث طويل ، والمقطع الذي ورد فيه الشاهد قوله ﷺ:﴿ ... يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فيسمعهم الداعي ، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس منهم ، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون ، فيقول الناس بعضهم لبعض : ألا ترون ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ ... فيأتون عيسى ، فيقولون : يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وكلمت الناس في المهد اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ فيقول عيسى : إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله - ولم يذكر ذنبًا - نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى محمد ﷺ...﴾ والحديث صحيح رواه أحمد : 2 / 435 ، 436 ، والبخاري : 391 – 392 ، 559 بالرقمين (3340 ، 4712) على التوالي ، ومسلم : 236 برقم (194) ، والترمذي : 660 - 661 برقم (2434)، واللفظ له ، وابن حبان ينظر الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان : 1714 – 1715 برقم (6465).
[6] ينظر المنجد في اللغة والأعلام : 760.
[7] ينظر الرائد : 2 / 1379.
[8] شذا العرف في فن الصرف : 75.

أولاهما : أنه (سمي عيسى ﵇ مسيحًا لكونه ماسحًا في الأرض ، أي : ذاهبًا فيها)[1]، أي : السائح في الأرض مشيًا ، فعلى هذا (المسيح الكثير السياحة)[2].

ثانيتهما : أنه سمي الرسولُ عيسى ﵇ باسم المسيح (لأنه كان يمسح ذا العاهة فيبـــــــرأ)[3]. قـــــــال ﷻ : ﴿... t my J ò 2F { $ # Û˜ Ì □ö/ é & u r
4 ’ t Aö q u K ø 9 $ # Ä Ó ó r é & u r š Ý t □ö/ F { $ # u r
/ Î * Î ŒÎ ø b È # $! «)... È Ò Í Ç﴾.[آل عمران : 49] والأخبار في الأناجيل أنه كان يشفي الأمراض الجلدية بالمسح عليها كثيرة منها هذا النص :(فأتى إليه أبرص يطلب إليه جاثيًا ، وقائلًا له : إن أردت تقدر أن تطهرني ، فتحنن يسوع ، ومد يده ولمسه ، وقال له : أريد ، فَاطْهُر. فللوقت - وهو يتكلم - ذهب عنه البرص ، وطهر)[4]، جاء في المنجد (مسح الله ما بك من علة ، أي : أزالها ، وعافاك)[5].

وكل تلك الآراء يمكن حمل الكلمة عليها على ما سبق تفصيله. فقد كان نبي الله عيسى ﵇ كثير السياحة في الأرض ، يمسح في الأرض طولًا وعرضًا لينشر الخير بين بني إسرائيل ، ويحثهم على عبادة الله ﷻ، وليمسح على أعضاء ذوي العاهات فيشفيهم ، وهو ممسوح بالدهن ، وممسوح من الخطايا والأدران التي تكون في الناس.

وبذلك نرى بوضوح مدى الثراء الدلالي الذي أضافته قراءة الإمام إلى الكلمة الثرية دلاليًا على قراءة المصحف. فالكلمتان ثراء على ثراء. وكل هذه الدلالات تعنيها كلمة "المسيح" على قراءتيها. فسبحان الله.

ب – على وزن (فَيْعال)

---

1 المفردات : 470.
2 المنجد : 760 ، والرائد : 2 / 1379.
3 المفردات : 470.
4 إنجيل مرقس الإصحاح 1 آية 40 – 42 ، وينظر إنجيل متى إصحاح 8 آية 2 – 4 ، ولوقا إصحاح 5 آية 12 – 13.
5 المنجد في اللغة والأعلام : 760.

قـرأ الإمــام الصــادق ﮔ قولــه ﮋ: ﴿ □ □□□□□□ □□□□□□□□ □□□□ □□□□□ □ □□□□□□□□□□□ □ □□□□□□ □□□ ﴾ [آل عمران : 2] (القَيّام).

وبهـا قـرأ عمـر وابـن مسـعود والنخعـي والأعمـش وزيـد بـن علـي بـن الحسين وعلقمة بن قيس والمطوعي ﭫ، ولـم يقـرأ الإمـام الصـادق ﮔ بهـا في سورة البقرة : الآية 255 (آية الكرسي)[1].

الكلمة القرائية (القَيَّام) ء ـَـ ل / ق ـَـ ي / ي ـًـ / م ـُـ

الكلمة المصحفية (القَيُّوم) ء ـَـ ل / ق ـَـ ي / ي ـُـُ / م ـُـ

الكلمة على القراءتين تحوي العدد نفسه من المقاطع والأنواع أنفسها منها ؛ حيث تتكون من أربعة مقاطع صوتية ؛ الأول والثـاني من نـوع الطويل المغلـق ، والثالـث طويل مفتوح ، والرابع قصير مفتوح.

الاختلاف الصوتي بين القراءتين يكمن في قمة المقطع الثالث ؛ فهي علـى قـراءة الإمام ألف، وعلى قراءة المصحف واو.

فقراءة (القَيّام) جاءت على وزن "فَيْعال"، (الأصل "القَيْوَام" ثم أُدغم)[2]. (وهـو "الفَيعال" من "قام - يقوم" ، سبقت الـواو المتحركـة مـن "قيـوام" يـاء سـاكنة ، فجعلتـا جميعًا ياء مشددة)[3].

وليس "القَيّام" على وزن "الفَعّال"، ولو كان كذلك لقيل : "القَوّام"، كقول الله ﮋ:

﴿ (# qãYt B# uä š ûïÏ %©! $ # $ pk š ‰r '¯» t ƒ
uä! # y ‰p k à- ¬! š úüÏ Bº §q s% (# q ç Rq ä.
/ Î $ $ 9ø (É ¡ ó Ý Å … È Ñ Ç ﴾ [المائدة : 8][4].

[1] ينظر معاني القرآن للفراء : 1 / 190 ، وجامع البيان : 6 / 155 ، وإعراب القرآن للنحـاس : 1 / 308 ، ومجمـع البيـان : 2 / 405 ، والتبيـان فـي إعـراب القـرآن : 2 / 388 ، والبحـر المحـيط : 2 / 377 ، وتفسير القرآن العظيم : 1 / 467.

[2] إعراب القرآن للنحاس : 120.

[3] جامع البيان : 3 / 166.

[4] جامع البيان : 3 / 166.

وقد جاءت هذه الكلمة "القَيّام" على لغة أهل الحجاز يقولون للصَّوّاغ : صَيَّاغ[1]. فهم (يصرفون الفَعّال إلى الفَيْعال فيقولون للصَّوَّاغ : صَيَّاغ)[2]. يقول الإمام الطبري : (إنما كان عمر ﷺ يختار قراءته – إن شاء الله – "القَيّام"؛ لأن ذلك الغالب على منطق أهل الحجاز في ذوات الثلاثة من الياء والواو ، فيقولون للرجل الصوّاغ : "الصَيّاغ"، ويقولون للرجل الكثير الدوران : "الدَّيّار". وقد قيل : إن قول الله ﷻ: ﴿ z ` Ï B Ç Ú ö ‘ F { $ # ’ n ? t ã ö ‘ x ‹ s ? Ÿw … ﴾ [نوح : 26] إنما هو "دَوّار" ، "فَعّالًا" من "دار – يدور"، ولكنها نزلت بلغة أهل الحجاز ، وأُقرت كذلك في المصحف)[3].

ويشترك في تكوين دلالة كلمة "القَيّام" ثلاثة عناصر هي :

الأول : الأصل الثلاثي للفعل وهو الجذر "ق ، و ، م" يدل على الانتصاب والعزم والذي يدبر ويحفظ شيئًا فهو قائم عليه[4].

والقَيَّام: الفَيْعال ، وأصله "القَيْوام"، فلما اجتمعت الياء والواو والسابق ساكن جعلتا ياءً مشددة[5].

الثاني : الوزن الصرفي "فَيْعال"، وهو من صيغ المبالغة[6]. وهو وزن يدل على على من دام منه الفعل وكثر، وكان قويًا عليه[7].

الثالث : "الـ" التعريف. وهذه الأداة هي التي خصصت دلالة الكلمة بالله ﷻ. فأصبح اسمًا له ﷻ. وبذلك تخصصت الكلمة من دلالة أولى عامة هي دلالتها على مَنْ داوم على الحفظ لمن يقوم عليه. إلى دلالة ثانية خاصة هي دلالتها على الله ﷻ وحده. ولذلك فهو لفظ يدل على المبالِغ في القيام بتدبير الخلق وحفظه.

---

[1] ينظر المحتسب : 1 / 151 ، والزاهر في معاني كلمات الناس : 1 / 186.
[2] الزاهر في معاني كلمات الناس : 1 / 186.
[3] جامع البيان : 166 – 167.
[4] ينظر المفردات في غريب القرآن : 417 ، وأبنية المبالغة ودلالاتها في القرآن الكريم : 209.
[5] ينظر الزاهر في معاني كلمات الناس : 1 / 186.
[6] ينظر أبنية المبالغة ودلالاتها في القرآن الكريم : 209.
[7] ينظر شرح المفصل : 6 / 112.

أما قراءة (قَيُّوم) فعلى وزن "فَيْعول"[1]، وقد (ورد هذا البناء اسمًا وصفة ، فالاسم نحو : القَيْصوم والخَيْشوم والحَيْزوم ، والصفة نحو : قَيُّوم وعَيْثوم ودَيُّوث)[2]. (الأصل فيه "قَيْوُوم" ثم وقع الإدغام)[3]؛ وليس بسديد ما ذهب إليه د. أحمد مختار عمر من أن الكلمة على وزن "فَعّول"[4]، فلو أن "القيوم" "فَعّول" لكانت الكلمة "القَوُّوم" ، فإن الواو الأولى من "القيوُوم" لما سبقتها ياء ساكنة وهي متحركة قلبت ياءً فجعلت هي والياء التي قبلها ياءً مشددة. لأن العرب كذلك تفعل بالواو المتحركة إذا تقدمتها ياء ساكنة[5]. فالذي حصل هو إعلال بالقلب حيث قلبت قلبت الواو ياءً ، وحينما توالت واوان حصل الإدغام.

وهو وزن قليل الورود في اللغة فقد ورد في القرآن الكريم في هذا اللفظ لا غير. وقد ورد لفظ "قَيُّوم" في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم هي : (البقرة : 255 ، وآل عمران : 2 ، و طه : 111)[6].

(يدل بناء "فَيْعول" على حرفة الفاعل وصناعته ولمن داوم على الفعل طويلًا وكثر ذلك منه وكان قويًا عليه حتى صار كأنه مادة لذلك الفعل كما يدل على معاناة الأمر حتى يصبح كأنه سجية وصبغة لصاحبه)[7].

وتشترك في تكوين كلمة "القَيُّوم" مجموعة معطيات هي :

الأول : الأصل الثلاثي للفعل وهو الجذر "ق ، و ، م" يدل على الانتصاب والعزم والذي يدبر ويحفظ شيئًا فهو قائم عليه[8].

الثاني : الوزن الصرفي "فَيْعُوْل"، وهو من صيغ المبالغة[9]. وهو وزن يدل على من دام منه الفعل وكثر، وكان قويًا عليه[10].

---

[1] ينظر إعراب القرآن للنحاس : 120 ، والمفردات في غريب القرآن : 417.
[2] أبنية المبالغة ودلالاتها في القرآن الكريم : 61.
[3] إعراب القرآن للنحاس : 120.
[4] ينظر أسماء الله الحسنى دراسة في البنية والدلالة : 103.
[5] ينظر جامع البيان : 3 / 166.
[6] ينظر أبنية المبالغة ودلالاتها في القرآن الكريم : 62.
[7] أبنية المبالغة ودلالاتها في القرآن الكريم : 61 ، وينظر للاستزادة الكتاب : 2 / 325 ، وشرح المفصل : 6 / 122.
[8] ينظر المفردات في غريب القرآن : 417 ، وأبنية المبالغة ودلالاتها في القرآن الكريم : 209.
[9] ينظر البحر المحيط : 2 / 287 ، وأبنية المبالغة ودلالاتها في القرآن الكريم : 209.
[10] ينظر شرح المفصل : 6 / 112.

الثالث : "الـ" التعريف. وهذه الأداة هي التي خصصت دلالة الكلمة بالله ﷻ، فأصبح اسمًا له ﷻ. وبذلك تخصصت الكلمة من دلالة أولى عامة هي دلالتها على مَنْ داوم على الحفظ لمن يقوم عليه. إلى دلالة ثانية خاصة هي دلالتها على الله ﷻ وحده.

إن تأويل الوجهين المقروء بهما متقارب ،(ومعنى ذلك كله : القيم بحفظ كل شيء ورزقه وتدبيره وتصريفه فيما شاء وأحب من تغيير وتبديل وزيادة ونقص)[1]. وهو صفة خاصة بالله ﷻ، (فليس لأحد أن يدعي أنه قيوم لما فيه من المبالغة والقدرة على حفظ خلقه ، وعلى اتساع عطائه الذي به قوام وجودهم)[2].

المقصود من القراءتين "القَيَّام" و "القَيُّوم" اسم من أسماء الله الحسنى[3]. وذكر العلماء في معناه مجموعة من الآراء منها القائم الدائم الذي لا يزول. أو هو الذي لا ينام بالسريانية[4]. أو أنه قائم على كل شيء بما يجب له. أو الدائم الوجود. أو الذي لا يزول. أو القائم بتدبير الخلق. أو القائم على كل نفس بما كسبت. أو العالم بالأمور. من قولهم : فلان يقوم بهذا الكتاب ، أي : يعلم ما فيه. أو هو مأخوذ من الاستقامة. أو الذي لا يبلى. أو الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه[5]. أو (القائم الحافظ الحافظ لكل شيء والمعطي له ما به قوامه وذلك هو المعنى المذكور في قوله ﷻ: ﴿ ¼ç ms) ù=y z > ä ó Ó x « ¨ @ä. 4 ‘ sÜ ô ã r & ü “ Ï %©! $ # ô ` y J sùr & ﴾ [طه : 50] ، وفي قوله : ﴿ Ç Î É È 3 “ y ‰y d §Nè O $ y J Î / ¤ §øÿ t R È e @ä. 4 ’ n? t ã í OÍ ¬ ! $ s% u q è d . ¡ x | 6 t M ô 3 ... È Ì Ì Ç ﴾ [الرعد :33])[6].

هو الذي (يكتفي ذاته بذاته ولا قوام له بغيره ، ولا يشترط في دوام وجوده وجود غيره ، فهو القائم بنفسه مطلقًا. فإن كان مع ذلك يقوم به كل موجود حتى لا يتصور للأشياء وجود ولا دوام وجود إلا به فهو القيوم لأن قوامه بذاته ، وقوام كل

[1] جامع البيان : 3 / 165.
[2] أبنية المبالغة ودلالاتها في القرآن الكريم : 210 ، وينظر عمدة الحفاظ : 480.
[3] ينظر الصحاح مادة (قوم) : 979.
[4] ينظر الكليات :616.
[5] ينظر البحر المحيط : 2 / 287.
[6] المفردات في غريب القرآن : 417.

شيء به ، وليس ذلك إلا لله ﷻ. ومدخل العبد في هذا الوصف بقدر استغنائه عما سوى الله ﷻ)[1].

وكل هذه المعاني - على تنوعها - محتملة في السياق ، ولا مانع من انخراطها في السياق الدلالي للنص ، وهي من ضمن معاني اسم الله ﷻ القيوم على القراءتين. وهذا مما يزيد الثراء الدلالي للكلمة القرآنية.

✡ ✡ ✡

ثالثًا : اسم المفعول

قرأ الإمام الباقر ﷺ قوله ﷻ: ﴿ [illegible] **﴾** [البقرة : 148] بالألف (مولاها).

وبها قرأ ابن عباس وابن عامر وأبو رجاء وعاصم وأبو بكر والذماري وشريح ﷺ[2].

لا فرق بين القراءتين من الناحية المقطعية ؛ فهما تمتلكان العدد نفسه من المقاطع ؛ فكل منهما له أربعة مقاطع : الأول قصير مفتوح ، بعده مقطع طويل مغلق ، بعدهما مقطعان طويلان مفتوحان على النحو الآتي :

الكلمة القرائية م ـُ / و ـَ ل / ل ـً / هـ ـً

الكلمة المصحفية م ـُ / و ـَ ل / ل ـِ / هـ ـً

---

1 المقصد الأسنى في شرح أسماء الحسنى : 102.

2 ينظر معاني القرآن للفراء : 1 / 85 ، والسبعة : 171 ، والحجة في القراءات السبع لابن خالويه : 90 ، والكشف 1 / 267 ، والتيسير : 77 ، والكشاف : 1 / 102 ، ومجمع البيان : 1 / 230 ، والتفسير الكبير : 2 / 27 ، والتبيان في إعراب القرآن : 1 / 40 ، والبحر المحيط : 1 / 611 ، وتفسير القرآن العظيم : 1 / 318 ، والنشر في القراءات العشر : 2 /223 ، وإتحاف فضلاء البشر : 150.

فكلاهما يمكن أن يوزن عروضيًا بتفعيلة (مَفَاْعِيْلُنْ) وهي تفعيلة الهزج[1]. والفرق الوحيد بينهما هو في قمة المقطع الثالث ؛ فهي في (مُوَلّاها) ألف ، وفي (مولِّيها) ياء.

فعلى قراءة الإمام بالألف (مُوَلّاها) حصل جمال موسيقي بتكرار الألف ، وهي قمة المقطع وهي صوت مد طويل ، وبذلك حصل تشابه قمتي المقطعين الأخيرين ، وهذا التطابق المقطعي كَوَّنَ جمالًا نغميًا بين المقطعين الأخيرين في الكلمة ، وهو من تكرار النغمة، هذا الجمال هو هو الموجود في فواصل سورة الشمس قال الله ﷻ:

﴿ Ç Ê È $ y g 8 p t é Ï u r Ä§÷K¤±9 $ # u r

Ç Ë È $ y g 9 n= s? # sŒÎ) Ì y J s) ø9 $ # u r

Ç Ì È $ y g 9 ¯ =y _ # sŒÎ) Í ' $ pk ¨] 9 $ # u r

Ç Í È $ y g 8 t ± ø ó t ƒ # sŒÎ) È @ø‹ ©9 $ # u r ﴾ [الشمس : 1- 4]

أما في حالة الياء (موليها) فبين المقطعين الأخيرين تجلى عندنا جمال من نوع آخر هو التناغم الصوتي ، وهو مزيج متناسق لطيف من نغمات مختلفة يضمها نسق صوتي واحد[2]. ففي المقطع الثالث للكلمة القمة هي الياء ، وفي المقطع الرابع القمة هي الألف ، وهما ، وإن اختلفا في نوع حرف العلة إلا أنك تحس بالارتياح عند سماعك لهما ، ولا تنفر الآذان من سماعهما ، ولا نشاز في اندراجهما في نظام صوتي متقارب ، ويمكن أن نطلق على هذا التنوع مصطلح التناغم ، ونظيره الانسجام المتجلي في قوله ﷻ: ﴿ R ç qm ïŽ k p $! ô ﴾ [هود : 49]، وهاتان القمتان (الياء والألف) إذا توالتا في مقطعين فإنهما تكسبانه شيئًا من التنوع العذب. ومن أراد استكناه مكامن الجمال والتمتع بها فليقرأ قصيدة البحتري في وصف بركة المتوكل ، فالمقطعان الأخيران في قافيتها نسج على هذا النوع من الجمال ، يقول البحتري :

إذا علتها الصبا أبدت لها حبكًا مثـــل الجواشن مصقولًا حواشيها

1 ينظر الكافي في العروض والقوافي : 57.
2 أخذنا هذا المصطلح من المصطلح الموسيقي الإنكَليزي (harmony) ينظر معجم (OXFORD) : 349.

تنـصب فيها وفود المـاء معجلة كالخيل قد أطلقت من حبل مجريها[1]

صـوت الألـف اشـترك فـي تكـوين نغمـة الكلمـة علـى القـراءتين ؛ فتكـرر فـي (مولاها) ، وتناوب مع الياء في (موليها). والألف صوت يستعمل كثيرًا في تكوين نغمـات المقـاطع الصـوتية ، ولعـل ذلـك راجـع إلـى أنـه الصـوت الهـاوي الوحيـد. والصوت الهاوي (هو حرف اتسع مخرجه لهواء الصوت أشد من اتساع غيره)[2].

فعلـى قـراءة الإمـام بـالألف (مولاهـا) المقصـود منهـا اسـم المفعـول مـن الفعـل (وَلّى)[3]، ويصاغ اسم المفعول من الفعل غير الثلاثي بإبدال حرف المضارعة ميمًا مضمومة ، وفتح ما قبل الآخر. والفتحة هذه هي التي أبقت الألف على حالها في الفعل الماضي ، مع أن أصلها ياء. والمعنى أن كل فريق قد وُلِّيَ هذه الوجهة ، أي : إن غيره هو الذي ولّاه إياها. والضمير (هو يعود إلـى "كل" بتـة ، وفـي (مُوَلّى) ضمير يعود إليه ، أي : ولكل إنسان وجهة هو وُلِّيها. ولا يجوز أن يكون (هو) كناية عن الله ﷻ لاستحالة ذلك في المعنـى)[4]؛ فقد وُلِّـيَ كل إنسان وجهة ومعنـى "مولاها" هنا هو (مصروف إليها)[5].

والقـائم بالصـرف والتوليـة هـو الله ﷻ، وهنـا تـتلاءم القـراءة مـع قولـه ﷻ: ﴿$ y g 9 | Ê ö □s? \ 's# ö 7 Ï %y 7 ¨ Yu ŠÏ j 9 u q ã Yn= sù... ...4 È Í Í Ê Ç﴾ في كون الـمُوَلِّي للإنسان هو الله ﷻ، وقد يراد الدين والنظر هو الذي يولي الإنسان تلك القبلة ، (أي : يوليه إياها مُوَلٍّ ، وهو دينه ونظره)[6]. ولا تعـارض بـين الأمـرين ؛ فالـدين مـن الله ﷻ ، والنظـر يكـون فـي الشـرع ، ويسـتنبط الحكم من نصوصه.

والفعل هنـا متعدٍّ إلـى مفعـولين ، والقـائم بالصـرف هـو نـائب الفاعـل ، وجملـة : يوليك الله قبلة. تعد استبدال الجملة الفعلية باسم المفعول.

---

[1] ديوان البحتري : 86.
[2] التحديد في الإتقان والتجويد : 110.
[3] البحر المحيط 1 / 611.
[4] كشف المشكلات : 78.
[5] النشر في القراءات العشر : 2 / 168.
[6] التحرير والتنوير : 2 / 43.

أما قراءة (موليها) فالمقصود منها اسم الفاعل من الفعل (وَلَّى)[1]. ويصاغ اسم الفاعل من الفعل الرباعي بإبدال حرف المضارعة ميمًا مضمومة وكسر ما قبل الآخر. وهذا الكسر لما قبل الآخر هو الذي قلب الألف التي في الماضي ياءً ، وبذلك عادت إلى أصلها ، وهو الياء. فأصل الألف هو الياء بدليل أن الفعل المضارع منها (يولي) بالياء.

(والمعنى : ولكل صاحب ملة قبلة ، صاحب القبلة موليها وجهه)[2]، فهو القائم بتولية الوجه بنفسه ، ونظيره قوله تعالى :﴿... y 7 y g ô _ u r É e Au q sù
...4 Ï Q# t y sø9 $ # Ï ‰É f ó ¡ y J ø9 $ # t ô Ü x ©
Ç Ê Í Í È ﴾ [البقرة : 144] في كون القائم بالفعل هو النبي ﷺ. وجدير بالذكر أن اسم الفاعل هنا مُتَعَدٍّ إلى مفعولين أيضًا حذف أحدهما ، وبقي واحد هو الضمير (ها) العائد على القبلة. كأنه قال : يستقبل الإنسان القبلة ، والمعنى على ذلك أن الإنسان هو الذي يولي هذه الوجهة ، بمعنى يتجه إليها. يقول الباقولي : ("هو" مبتدأ ، و(موليها) خبره ، والجملة صفة (وجهة) ، و(هو) يعود إلى (كل). والتقدير : "ولكل إنسان وجهة يوليها وجهَهُ")[3]. وعلى هذا نعرف تقدير المفعول المحذوف وهو (وجهه). وهنا الفاعل هو الإنسان ؛ فهو الذي يولي القبلة وجهه.

ويجوز القول إن ("هو" يعود إلى الله تعالى ، والتقدير: "ولكل إنسان وجهة الله يوليها إياه." فحذف المفعول الثاني من موليها على القولين)[4]. فالله تعالى هو الذي يختار لكل أمة وجهة ، فاختار لأمة محمد ﷺ الاتجاه إلى الكعبة المشرفة ؛ كما اختار لغيرها الاتجاه إلى بيت المقدس.

إذا قلنا إن الضمير (هو) يعود على الله تعالى مع عدم ذكره سابقًا فذلك جائز ؛ (إذ معلوم أن الله ﷻ فاعل ذلك)[5]. وقد ورد لفظ الجلالة قبل هذه الآية مرارًا. وذلك من النظر إلى الوحدة العضوية في السورة ، والترابط الوثيق بين أجزائها.

---

[1] ينظر البحر المحيط : 1 / 611.
[2] الجامع لأحكام القرآن : 2 / 145.
[3] كشف المشكلات : 78.
[4] كشف المشكلات : 78.
[5] الجامع لأحكام القرآن : 2 / 145.

وقيل : "موليها" بمعنى متوليها[1]، أو مستقبلها. وبذلك فلا تقدير للمفعول الثاني ؛ فاسم الفاعل متعدٍّ إلى مفعول واحد.

جدير بالذكر أن كلمة (مُوَلّاها) أسهل من كلمة (مُوَلِّيها) ؛ وذلك لأن الفتحة والألف أسهل من الكسرة والياء ، فضلًا عن أن التكرار للألف أسهل من التنوع بين الألف والياء. وهذه السهولة تتناسب مع إيكال أمر التولية لله ﷻ في قراءة (مُوَلّاها) ، لأنه قادر على كل شيء ، ولا محدودية لقدرته ، وكل شيء عليه يسير ، في حين أن العباد قد يعسر عليهم الأمر فعبر معهم بالكلمة على قراءة (مُوَلِّيها) ، فعندما كان الفعل لله ﷻ استعمل الكلمة السهلة ، وعندما كان الفعل للعباد استعمل الكلمة الصعبة. ولم (يكن بد من تمييز المكان الذي يتجه إليه المسلم بالصلاة والعبادة وتخصيصه كي يتميز هو ، ويتخصص بتصوره ومنهجه واتجاهه .. فهذا التميز تلبية للشعور بالامتياز والتفرد ، كما أنه بدوره ينشئ شعورًا بالامتياز والتفرد)[2].

۞ ۞ ۞

وقرأ الإمام الباقر ﵇ قول الله ﷻ: ﴿ [illegible] ﴾ [الحشر : 23] بفتح الميم الثانية (الـمُؤْمَن).

وهي من انفراداته [3].

لا فرق بين القراءتين من الناحية المقطعية فكلاهما تتكون من ثلاثة مقاطع طويلة مغلقة عند الوقف على ما يأتي في الكتابة المقطعية.

[1] الجامع لأحكام القرآن : 2 / 145.
[2] في ظلال القرآن : 1 / 128.
[3] ينظر الكشاف : 4 / 497 ، والتفسير الكبير : 29 / 293 ، والبحر المحيط : 8 / 249.

الكلمة القرائية (الـمُؤْمَن) ء ـَــ ل / م ـُــ ء / م ـَــ ن

الكلمة المصحفية (الـمُؤْمِن) ء ـَــ ل / م ـُــ ء / م ـِــ ن

والفرق الوحيد بين القراءتين في قمة المقطع الثالث ؛ فقمته في قراءة الإمام فتحة ، وقمته في قراءة المصحف كسرة. والكسرة أقوى من الفتحة.

هذا الانزياح الصوتي بين الكسرة والفتحة أدى إلى انزياح في الدلالة الصرفية للكلمة ؛ فقد تحولت الكلمة من دلالة صرفية إلى دلالة صرفية أخرى.

قراءة الإمام بفتح الميم الثانية (الـمُؤْمَن) اسم مفعول من الفعل (آمنه). واسم المفعول من الفعل غير الثلاثي يصاغ بإبدال حرف المضارعة ميمًا مضمومة ، وفتح ما قبل الآخر[1]. فالفعل الماضي (آمَن)، والمضارع (يُؤْمِن) ، واسم المفعول (مُؤْمَن). (وأصل آمن :"أَأْمَن" بهمزتين ، لُيِّنت الثانية)[2]. وأصل "يُؤْمِن" هو "يُؤَأْمِن"، وأصل (مُؤْمَن) : مُؤَأْمَن. وهو اسم مفعول ، واسم المفعول مشتق موضوع (لمن وقع عليه الفعل)[3]. واشتقاقه من أحد معنيين :

الأول : من الأمن. وأصل الأمن في اللغة : طُمَأْنينة النفس وزوال الخوف[4]. أي : أنه ﷻ (الـمُؤْمَن به ، على حذف الجار ، كما تقول : في قوم موسى من قوله ﷻ: ﴿ ÇÊÎ Î È ...¼ç mt Böqs% 4 Óy › qãBu ‘ $ tG÷z$ # ur ﴾ [الأعراف : 155] المختارون بلفظ صفة السبعين)[5]. ومعنى ذلك أن "المؤمَن به" أُطْلِقَ عليه "المؤمَن" بحذف حرف الجر مع مجروره ، كما أطلق على المختارين من قوم موسى ﵇ اسم "المختارين" بحذف الجار والمجرور. لذلك فإن الاسم تامًا هو "المؤمَن به"، واختصر إلى "المؤمَن". ومعناه أن عباده يأمنون به ، ومن دونه لا أمن لهم. قال الله ﷻ في الحديث القدسي : ﴿"لا إله إلا الله" حصني فمن دخل حصني فقد أمن عذابي﴾.

---

[1] ينظر شذا العرف في فن الصرف : 96.
[2] الصحاح مادة (أمن) : 56.
[3] شذا العرف في فن الصرف : 96.
[4] ينظر المفردات في غريب القرآن : 35 ، وينظر القاموس المحيط مادة (أمن) : 1176.
[5] الكشاف : 4 / 497 ، وينظر تفسير البيضاوي : 5 / 203.

الثاني : من الإيمان. فيكون معنى اسم الله "المؤمَن" هو المصدَّق الذي يصدِّقه عباده المؤمنون بكل ما يقول. وهذا على المعنى اللغوي لكلمة الإيمان. أو أن "المُؤْمَن" هو الذي يؤمِن عباده المؤمنون بكل أقواله وأفعاله وأسمائه وصفاته. وهذا على المعنى الاصطلاحي لكلمة الإيمان. ولا أرى مانعًا من حمله على هذا المعنى. والله ﷻ أعلم.

وقد رُدَّت هذه القراءة بحجة أن الاسم ورد من دون الجار والمجرور ، قال أبو حاتم : (لا يجوز إطلاق ذلك عليه ﷻ، لإيهامه ما لا يليق به ﷻ، إذ المؤمَن المطلق من كان خائفًا ، وآمنه غيره)[1].

لما كانت هذه قراءة فلا عبرة باعتراض أبي حاتم عليها ، ولا صحة له ، (لأن القراءة ليست بالرأي)[2]. وقد تم تأويلها بإضافة جار ومجرور - كما سبق – فزال الإشكال الذي اعترض به أبو حاتم على القراءة. لذا فلا التفات إلى هذا الرد ما دامت قراءة. والقراءة سنة متبعة. ولا ترد بالعقل ، كما لا يتوصل إليها به. والقراءة حجة لغوية ؛ فإن القواعد اللغوية تكيف باتجاهها ، ولا تكيف القراءة باتجاه القاعدة. وهي نص لغوي منقول إلينا من عصر الفصاحة والاستشهاد فلا سبيل إلى رده.

ولم يرد اسم من أسماء الله الحسنى على وزن اسم المفعول في الأسماء التسعة والتسعين. ولكنه ورد في نحو اسم الله ﷻ "المستعان" الوارد في قوله ﷻ:

﴿... $ t B 4 ’ n?t ã ãb$ y è t Gó ¡ ß J ø9 $ # ª ! $ # u r
Ç Ê Ñ È t b q à ÿ Å Á s?﴾ [يوسف : 18].

ولا بد للعبد أن يسعى لاكتساب القدر البشري من صفات الله ﷻ، من باب استكمال الإيمان بأسمائه الحسنى ، وهو (السعي في اكتساب الممكن من تلك الصفات ، والتخلق والتحلي بمحاسنها. وبه يصير العبد ربانيًا ، أي : قريبًا من الرب ﷻ، فإنه يصير رفيقًا للملأ الأعلى من الملائكة ، فإنهم على بساط القرب ؛

[1] روح المعاني : 28 / 63.
[2] روح المعاني : 28 / 63.

فمن ضرب إلى شبه من صفاتهم نال شيئًا من قربهم بقدر ما نال من أوصافهم المقربة لهم إلى الحق ﷻ)[1].

وإذا كان الأمر كذلك فإن (حظ العبد من هذا الوصف أن يأمن الخلق كلهم جانبه ؛ بل يرجو كل خائف الاعتضاد به في دفع الهلاك عن نفسه في دينه ودنياه ، كما قال رسول الله ﷺ: ﴿ والله لا يؤمن ! والله لا يؤمن ! والله لا يؤمن ! قيل : ومن يا رسول الله ؟ قال : الذي لا يأمن جاره بوائقه ﴾.

وأحق العباد باسم المؤمن من كان سببًا لأمن الخلق من عذاب الله بالهداية إلى طريق الله ، والإرشاد إلى النجاة ، وهذه حرفة الأنبياء والعلماء ، ولذلك قال النبي ﷺ: ﴿ إنكم تتهافتون في النار تهافت الفراش ، وأنا آخذ بحجزكم ﴾)[2]. وهذه هي السعادة الحقة والكمال البشري الحق ؛ فإن (كمال العبد وسعادته في التخلق بأخلاق الله ﷻ، والتحلي بمعاني صفاته وأسمائه ؛ بقدر ما يتصور في حقه)[3].

ومن قرأ بكسر الميم الثانية (المؤمِن) أراد اسم الفاعل (من "آمن" بمعنى "أمَّن")[4]. واختلف العلماء في اشتقاق الاسم على رأيين :

أولهما : أنه مشتق من الأمن

والفعل آمن مزيد بالهمزة ، وهمزته للتعدية أي : جعل غيره آمنًا[5]. فاسم "المؤمن" هنا مشتق من الأمن. أي : (واهب الأمن)[6]، ومعناه (الذي أمَّن عباده)[7] ، ولكن ما الذي آمنهم منه ؟ إنه (آمن عباده من أن يظلمهم)[8]. وهذا - كما يبدو - معنى رأي النحاس :(المؤمن الذي يؤمِّن أولياءه من عذابه)[9] ، قال الغزالي :

---

[1] المقصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى : 27.
[2] المقصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى : 49. وحديث (إنكم تتهافتون) رواه مسلم : 1418 برقم (2285) ونصه : ﴿مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد نارًا ، فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها ، وهو يذبهن عنها ، وأنا آخذ بحجزكم عن النار ، وأنتم تفلتون من يدي.﴾
[3] المقصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى : 27.
[4] الدر المصون : 10 / 291.
[5] ينظر التحرير والتنوير : 28 / 121.
[6] الكشاف : 4 / 497 ، وينظر تفسير البيضاوي : 5 / 203 ، والإعراب المفصل لكتاب الله المرتل : 11 / 473.
[7] التسهيل لعلوم التنزيل : 2 / 432.
[8] الصحاح مادة (أمن) : 56 ، وينظر تفسير الطبري : 12 / 52 ، وتفسير القرآن العظيم : 4 / 419.
[9] إعراب القرآن للنحاس : 1136.

(المؤمِن : هو الذي يعزى إليه الأمن والأمان ؛ بإفادته أسبابه ، وسده طرق المخاوف. ولا يتصور أمن إلا في محل الخوف ، ولا خوف إلا عند إمكان العدم والنقص والهلاك.

والمؤمن المطلق هو الذي لا يتصور أمن وأمان إلا ويكون مستفادًا من جهته)[1].

ثانيهما : أنه مشتق من الإيمان. وجاء على ستة معانٍ :

الأول : تصديقه لنفسه بقوله ﷻ : ﴿ © x g %Î y # $! ª & r R ¯m ç¼

è p s3Í ´ ¯ » n = y J ø9 $ # u r u q è d ž Ï) t m » s9 Î) I w

$ J J Í ¬ ! $ s% É Où= Ï è ø9 $ # (# q ä9 'r é & u r

u q è d ž Ï) t m » s9 Î) I w4 Å Ý ó ¡ É) ø9 $ $ Î /

$ ê ø9 y – Í ƒ “ â # $ ø9 Û y6 Å Š O Þ È Ñ Ê Ç ﴾ [آل عمران : 18]، وصدق الله.

الثاني : تصديقه لرسله بإظهار المعجزة الدالة على صدقهم على أيديهم وذلك مجاز لأنه فعل نزل منزلة القول.

الثالث : تصديقه لأوليائه بإظهار الكرامة على أيديهم الدالة على كرامتهم وهو مجاز أيضًا.

الرابع : تصديقه بفعله لوعده كقوله ﷻ: ﴿ r u% s $ 9 ä q # (# $ 9 ø

$ o Y s% y %‰ | ¹ “ Ï %©! $ # ¬ ! ß ‰ô J y s ø9 $ #

r u ã ô‰ % y n ç¼ ﴾ [الزمر : 74].

الخامس : تصديقه لعباده فيما يخبرون به من حق ، كما روي في الأخبار أن الله يقول :﴿صدق عبدي ﴾[2].

فيكون اسم الله "المؤمن" معناه (المصدِّق لعباده في إيمانهم ، أو في شهادتهم على الناس ، أو المصدق نفسه في أقواله)[3]. ولا مانع من أن يكون جامعًا لكل

---

[1] المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى : 48.
[2] ينظر الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى : 1 / 239. وهو حديث قدسي رواه أحمد : 1 / 198.
[3] التسهيل لعلوم التنزيل : 2 / 432 ، وينظر جامع البيان : 12 / 52 ، والجواهر الحسان : 5 / 414 ، وتفسير القرآن العظيم : 4 / 419.

ذلك. أو أراد (المصدِّق لرسله بإظهار معجزاته عليهم ، ومصدق المؤمنين ما وعدهم به من الثواب ، ومصدق الكافرين ما أوعدهم من العقاب)[1].

السادس : إيمانه بكلمة التوحيد "لا إله إلا الله". (قال مجاهد : المُؤمِن الذي وحد نفسه بقوله : ﴿ t m» s9 Î) I w¼ç m¯ Rr & ª ! $ # y ‰Ï g x © (ÞÎ) ... u q è d Ç Ê Ñ È ﴾. [آل عمران : 18] وقال ابن عباس : إذا كان يوم القيامة أُخْرِجَ أهل التوحيد من النار ؛ وأول من يخرج من وافق اسمه اسم نبي. حتى إذا لم يبقَ فيها من يوافق اسمه اسم نبي قال الله ﷻ لباقيهم : أنتم المسلمون وأنا السلام ، وأنتم المؤمنون ، وأنا المؤمِن ؛ فيخرجهم من النار ببركة هذين الاسمين)[2].

فإن الأمن من الله ﷻ إذ (هو الذي جعل الأمان في غالب أحوال الموجودات ، إذ خلق نظام المخلوقات بعيدًا عن الأخطار والمصائب ، وإنما تعرض للمخلوقات المصائب بعوارض تتركب من تقارن أو تضاد أو تعارض مصالح ؛ فيرجح أقواها ، ويدحض أدناها ؛ وقد تأتي من جراء أفعال الناس.

وذكر وصف "المؤمن" عقب الأوصاف التي قبله إتمام للاحتراس من توهم وصفه ﷻ بـ "الملك" أنه كالملوك المعروفين بالنقائص. فأفيد أولًا نزاهة ذاته بوصف "القدوس" ، ونزاهة تصرفاته المغيَّبة عن الغدر والكيد بوصف "المؤمن" ، ونزاهة تصرفاته الظاهرة عن الجور والظلم بوصف "السلام")[3].

وقراءة الإمام أسهل من قراءة المصحف ؛ وذلك لأن الكسرة أقوى من الفتحة. والسهولة تتناسب مع معنى المفعولية في كون الله ﷻ يُؤْمَنُ به ، والصعوبة تتناسب مع معنى الفاعلية في كون الله ﷻ هو الذي يُؤْمِنُ عباده. من حيث البناء الصرفي ، فإن الله ﷻ كل شيء هين عليه.

[1] الجامع لأحكام القرآن : 18 / 35.
[2] الجامع لأحكام القرآن : 18 / 35.
[3] التحرير والتنوير : 28 / 121.

✡ ✡ ✡

رابعًا : مبالغة اسم المفعول

قـرأ الإمــام البــاقر عليه السلام قولــه تعالى: ﴿ □□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□_□□□□□□ □□□ ﴾ [الهمــزة : 1] بســكون الميم في الكلمتين ﴿ هُمْزة لُمْزة ﴾.

وبها قرأ الأعرج رضي الله عنه[1].

الميم في كلمة (هُمَزة) - على قراءة الجمهور - متحركة بحركة الفتح. والميم في كلمة (هُمْزة) - على قراءة الإمام – ساكنة.

يمكن كتابة الكلمة مقطعيًا على القراءتين - عند الوقف - على النحو الآتي :

الكلمة القرائية (هُمْزَة)   / هـ ـُـ م / ز ــَـ هـ /

الكلمة المصحفية (هُمَزَة)   / هـ ـُـ / م ـَـ / ز ــَـ هـ /

فقراءة الفتح - عند الوقف على الكلمة - تتكون من ثلاثة مقاطع : الأول يتكون من قاعدة الهاء وقمة هي ضمتها. والثاني يتكون من قاعدة الميم وقمة هي فتحتها. وكلا المقطعين من نوع القصير المفتوح ؛ والقصير لا يكون إلا مفتوحًا. والثالث يتكون من قاعدتين هما : الزاي والهاء ، بينهما قمة هي فتحة الزاي ، وهذا مقطع طويل مغلق.

[1] ينظر الكشاف : 4 / 284 ، والتفسير الكبير : 32 / 91 ، والجامع لأحكام القرآن : 20 / 182، والبحر المحيط : 8 / 510.

أما على قراءة التسكين فتتكون الكلمة من مقطعين صوتيين طويلين مغلقين : الأول يتكون من قاعدتين هما : الهاء والميم بينهما قمة هي ضمة الهاء. والثاني يتكون من قاعدتين هما : الزاي والهاء بينهما قمة هي فتحة الزاي.

الذي حصل من تغير صوتي في هذه الكلمة يمكن تفسيره تفسيرًا صوتيًا هو أن فتحة الميم - وهي قمة المقطع الثاني في قراءة الفتح - لما اختفت في قراءة التسكين بقيت قاعدتها دون قمة ، وهذه وضعية ممتنعة في المقطع ؛ إذ إن المقطع يتكون من قاعدة وقمة على الأقل ، أما القاعدة وحدها فلا يمكن أن تكون مقطعًا ؛ لذلك التحقت قاعدة الميم بالمقطع السابق القصير المفتوح ، وهو المتكون من قاعدة وقمة ، فأصبحت الميم قاعدته الثانية ، فتحول إلى مقطع من نوع الطويل المغلق.

وقراءة التسكين أخف على جهاز النطق من قراءة الفتح ؛ ووجه الخفة يتجلى في مظاهر :

أولها : الاقتصاد في المجهود الذي يبذله جهاز النطق ؛ وذلك عن طريق الاقتصار على ستة أصوات - عند التسكين - بدل سبعة عند الفتح. إذ اختفى صوت الفتحة. ومما لا شك فيه أن النطق بستة أصوات أخف من النطق بسبعة الستة الأولى يضاف إليها سابع.

ثانيها : التحول المقطعي الذي شهدته الكلمة عند التسكين ؛ إذ تحولت الكلمة من ثلاثية المقطع إلى ثنائية المقطع ؛ والكلمة الثنائية المقطع أخف على اللسان من الكلمة الثلاثية المقطع.

ثالثها : سكون الميم مَثَّلَ محطة استراحة لجهاز النطق بين المتحركات المتوالية. وتوالي الحركات من الصعوبة بمكان إذا لم يتخللها ساكن. فكلمة (هُمَزَةٍ) من الناحية العروضية مساوية لتفعيلة (مُتَعِلُنْ) ، وهذه بدورها هي تفعيلة (مُسْتَفْعِلُنْ) ، بعد تعرضها لزحاف مركب من الخبن والطي ، وهو الخَبَل ، فحذف ثانيها ورابعها الساكنان ؛ وهو زحاف غير مستحسن[1]؛ وعدم استحسانه راجع إلى توالي المتحركات ؛ لا سيما وأن الوزن تكرر مرتين مما زاد من صعوبته.

[1] ينظر ميزان الذهب في صناعة شعر العرب : 63.

وقد تم هنا توظيف الصعوبة النطقية توظيفًا دلاليًا ؛ إذ إن الصعوبة هنا تتناسب مع قبح الذنب من جهة ، وتتناسب مع سوء عاقبة مرتكب ذلك الذنب ؛ وقد ذكرت عقوبته بالويل والحطمة. وبذلك يبدو لنا لون من الانسجام بين اللفظ والمعنى أسمى من البلاغة الظاهرية.

أما عند التسكين فإن الكلمة تساوي من الناحية العروضية تفعيلة (فَأْعِلُنْ) ، وهي تفعيلة خالية من الكراهة ، وهي موجودة أصلًا في النظام العروضي بصفة تفعيلة صحيحة.

وعلى هذه القراءة تكون الآية متكونة من منظومة صوتية مساوية من الناحية العروضية لشطر من بحر السريع. على ما سيبينه التقطيع الآتي :

وَيْلُنْ لِكُلْ / لِـهُمْزَتِنْ / لُمْزَهْ

مُسْتَفْعِلُنْ / مُتَفْعِلُنْ / فَعْلُنْ

فجاءت التفعيلة الأولى صحيحة ، أي : إنها لم تتعرض لزحاف ؛ والتفعيلة الثانية مخبونة ، أي : إنها تعرضت لزحاف الخبن ، وهو حذف الثاني الساكن[1]. والتفعيلة الثالثة جاءت على الضرب الثالث (فَعْلُنْ) للعروضة الأولى (فَأْعِلُنْ)[2]، وهو على اصطلاح العروضيين ضرب أصلم (والأصلم : ما سقط من آخره وتد مفروق. كان أصله مَفْعولاتُ ، فحذف منه "لاتُ"، فبقي "مَفْعو ، فنقل إلى "فَعْلُنْ")[3]، فالمقطع بمثابة الشطر الثاني الذي فيه الضرب.

فمن قرأ كلمة (هُمْزَة) بسكون الميم قصد أنها على وزن (فُعْلَة)، بضم الفاء وسكون العين. وهو وزن من الأوزان الدالة على مفعول[4]. وقد جاءت على هذا الوزن ألفاظ منها "اللُّعْنَة" ومنها "الصُّرْعَة" و "السُّبَّة"[5]، وهذا الوزن وزن يفيد المبالغة في معنى المفعولية[6]. فكما أن لاسم الفاعل صيغًا تعبر عن المبالغة فيه ،

[1] ينظر ميزان الذهب في صناعة شعر العرب : 10.
[2] ينظر ميزان الذهب في صناعة شعر العرب : 73.
[3] الكافي في العروض والقوافي : 74.
[4] ينظر الجامع لأحكام القرآن 20 / 144 ، ومعاني الأبنية في العربية : 67.
[5] ينظر شرح الرضي على الشافية : 1 / 162 ، والقاموس المحيط مادة (صرع) : 737 ، ولسان العرب مادة (صرع) : 10 / 64 ، ومادة (لعن) : 17 / 273.
[6] ينظر شرح الرضي على الشافية : 1 / 162 ، ومعاني الأبنية في العربية : 72.

فكذلك لاسم المفعول صيغ للمبالغة فيه. وقد عدَّه راجي الأسمر من أوزان صيغ مبالغة اسم الفاعل[1]. وهو وهم منه - وجلَّ من لا يخطئ - ولعله حمله على التخفيف ، بإسكان العين من وزن "فُعَلَة" الذي هو صيغة من صيغ مبالغة اسم الفاعل.

هذا الوزن "فُعْلَة"، وهو وزن مطرد (لمن يكون الفعل بسببه)[2]، ليس وزنًا مهجورًا في العربية بل وردت عليه كلمات مشهورة الاستعمال في العربية حتى الحديثة منها ؛ فمثلًا كلمة "اللُّعْنَة" تطلق على الذي يُلْعَنُ كثيرًا[3]، وفي لسان العرب:("اللُّعْنَة" الذي لا يزال يُلْعَنُ لشرارته)[4]. وكلمة "السُّبَّة" دالة على الذي يُسَبُّ بمبالغة[5]. ويقال: رجلٌ صُرْعَة تُطلق على الرجل الذي يُصْرَعُ كثيرًا[6]. فإنها فإنها دالة على الذي يقع عليه فعل فاعل غيره بمبالغة.

والأصل في اسم المفعول من الثلاثي وزن (مفعول)[7]. وقد يعدل عنه إلى أبنية أخرى تعبر أيضًا عن معنى المفعول ، ولكن بفرق دلالي يكمن في كثرة حدوث الفعل ، أو في قوته. وهي ما لم يفرد له الصرفيون القدماء بابًا في الصرف ، كما أفردوا لمبالغة اسم الفاعل. وقد أطلق عليه د. فاضل السامرائي مصطلح (مبالغة اسم المفعول)[8].

ويمكن التوصل إلى تعريف للأبنية التي تدل على مبالغة اسم المفعول بأنها : **الأبنية التي يُتَحَوَّلُ إليها من اسم المفعول بقصد المبالغة والتكثير في معنى المفعولية.**

ولبيان معنى كلمة (هُمْزَة) بصورة أكثر دقة نوازن بينها وبين (مَهْموز) ، لاكتشاف أسرار القرآن الكريم في اختيار هذا الوزن وهذه الكلمة. وتتم الموازنة

[1] ينظر المعجم المفصل في علم الصرف : 294.
[2] الدر المصون : 11 / 106.
[3] ينظر شرح الرضي على الشافية : 1 / 162.
[4] لسان العرب مادة (لعن) : 17 / 273.
[5] ينظر شرح الرضي على الشافية : 1 / 162.
[6] ينظر لسان العرب مادة (صرع) : 10 / 64.
[7] ينظر المعجم المفصل في علم الصرف : 132.
[8] معاني الأبنية في العربية : 72.

بينهما ببيان أوجه الشبه والاختلاف بين الكلمتين على وفق مجموعة من المعطيات. يمكن تلمس الفرق الدلالي بين كلمتي (مَهْموز وهُمْزَة) عن طريق تحري مكونات الدلالة في الكلمة ، وهي مجموعة العناصر التي تقوم بتشكيل دلالة الكلمة وهي :

هناك وجهان للشبه بين الكلمتين وأوجه للاختلاف. فأما وجها الشبه بين الكلمتين فهما:

1 – الجذر اللغوي الثلاثي للكلمة. وهو معنى مجرد تحدده المعاجم اللغوية. فالكلمتان "مَهْموز" و "هُمْزة" كلتاهما مشتقتان من الجذر اللغوي (همز).

2 – الدلالة على المفعول. تشترك الكلمتان في الدلالة على مفعول الحدث ، وهو من وقع عليه تأثير الحدث المذكور في العنصر الأول ؛ فدلالة كل منهما على من وقع عليه تأثير فعل الهمز. قال محيي الدين الدرويش :(وهو الذي يُهْمَز ويُلْمَز ، أي : يأتي بما يُهْمَز به ، ويُلْمَز)[1].

وأما أوجه الاختلاف بين الكلمتين فتتجلى في :

1 – معنى الكثرة والمبالغة. نقصد بذلك : درجة حدوث ذلك الحدث من حيث القلة والكثرة ، أو من حيث الضعف والقوة. إن أبنية مبالغة اسم المفعول هذه فروع من اسم المفعول. فكلمتا (مَهْموز ومَلْموز) تطلقان على من يُهْمَزُ ويُلْمَز ولو مرة واحدة ، وتكون للقليل والكثير ؛ لأنها الأصل. ولا تتعين القلة والكثرة إلا بقرينة. أما كلمتا "هُمْزَة" و "لُمْزَة" فإنهما لا تطلقان إلا على الذي يُهْمَز ويُلْمَز كثيرًا بحيث يصير مَسْخَرَة. فحين يدل "مَهْموز" على الكثرة فدلالته احتمالية ؛ لوجود احتمال إرادة القلة في الصيغة نفسها. لكن "هُمْزَة" هي نفسها تدل على معنى التكثير والمبالغة بصيغتها. (مهموز) لا تدل على أكثر من ذات تُهْمَزُ. بينما (هُمْزَة) تدل على ذات تُهْمَز بكثرة وبشدة. ولا يُطلق على من هُمِزَ مرة أنه (هُمْزة) ؛ بل يُطلق عليه (مَهْموز). فالفرق يقع في درجة الهمز وكثرته. فالذي يعبر بكلمة (مهموز) يريد الحدث ومن وقع عليه الحدث. ومن يعبر بكلمة (هُمْزَة) يريدهما مع مزيد من الكثرة والقوة. فالهُمْزَة مهموز وزيادة.

[1] إعراب القرآن الكريم وبيانه : 8 / 405.

2 – الحدوث والثبوت. (مَهْموز) على وزن "مفعول" فهو يدل على منزلة بين الحدوث والثبوت ؛ بحسب ما يقارن به ، حيث أنه يدل على الحدوث بالنسبة للصفة ، ويدل على الثبوت بالنسبة للفعل. فإذا ما قورن بالصفة وثباتها فإنه أميل منها إلى الحدوث ، وإذا ما قورن بالفعل وحدوثه فإنه أميل إلى الثبوت. أما (هُمْزة) فهي صفة ثابتة أو كالثابتة. فهي ليست كثبوت صفة "طويل" مثلًا لكنها كالثابتة.

3 – الدلالة الزمنية. وتدل صيغة (مَهْموز) من الناحية الزمنية على الحال والاستقبال وغيرها[1]. في حين أن (هُمْزة) للذي اتصف بصفة الهمز دون أن يكون مقترنًا بزمن.

4 – التذكير والتأنيث. وكلمة (مَهْموز) تطلق على المذكر فقط ، وإذا ما أردنا التأنيث أضفنا للكلمة تاء التأنيث ، فتصبح (مَهْموزة). أما (هُمْزَة) فأنها تطلق على المذكر والمؤنث باللفظ نفسه.

5 – العدد. كلمة (مَهْموز) تثنى وتجمع ، فيقال : مهموزان ومهموزون ، أما (هُمْزة) فهي بلفظها تدل على المثنى والجمع ، فيقال : (رجال هُمْزة ، ونساء هُمْزة)[2].

وعلى ما سبق نقرر أن كلمة "هُمْزَة" بالسكون تدل على الذي يهمزه الناس بكثرة وبمبالغة ، وكلمة "لُمْزَة" بالسكون هو الذي يلمزه الناس بكثرة ومبالغة. فالمقصود به (المَسْخرة الذي يأتي بالأوابد والأضاحيك ، فيُضْحَكُ منه ، ويُشْتَمُ)[3]، ويجعل من نفسه هُزْأَةً بأن (يتعرض للناس حتى يهمزوه ، ويضحكوا منه)[4]. ومعنى السياق هو أن الله ﷻ توعد بالويل كل من يجعل من نفسه مسخرة يضحك منها الناس ؛ وقد جاء هذا التهديد لمجموعة من الأسباب أهمها :

الأول : أنه هدد بالويل لكونه يحمل الناس على الاغتياب[5].

---

[1] ينظر معاني الأبنية في العربية : 60 – 61.
[2] إعراب القرآن الكريم وبيانه : 8 / 405.
[3] الكشاف : 4 / 789.
[4] الجامع لأحكام القرآن : 20 / 144.
[5] ينظر الجامع لأحكام القرآن : 20 / 144.

الثاني : بناء شخصية الإنسان ، فهو بيان ملامح الشخص المحترم في المجتمع الإسلامي.

فالنص عام ، وإن ذكر في أسباب النزول أن الآية نزلت في مشرك بعينه[1]. ورأي الأكثرين أنها مرسلة على العموم من دون تخصيص ، فهي لكل من هذه صفته[2]. (ويجوز أن يكون السبب خاصًا ، والوعيد عامًا ؛ ليتناول كل من باشر ذلك القبيح ، وليكون جاريًا مجرى التعريض بالوارد فيه ، فإن ذلك أزجر له ، وأنكى فيه)[3]. وهذا الأسلوب سمة عامة في التعبير القرآني فيعبر عن حادثة خاصة بألفاظ عامة ، و(العبرة بعموم اللفظ ، لا بخصوص السبب)[4]. فإن (الله عَمَّ بالقول كل همزة لمزة ، كل من كان بالصفة التي وصف هذا الموصوف بها ، سبيله سبيله كائنًا من كان من الناس)[5].

ومن قرأ بفتح الميم (هُمَزَة) بالفتحة أراد وزن (فُعَلَة) ، وهو (بضم الفاء وفتح العين لمبالغة الفاعل)[6]، وهو وزن من أوزان مبالغة اسم الفاعل ، وهو من أوزان المبالغة السماعية[7](التي زيدت على سيبويه ، وأضيفت فيما بعد)[8]. وهو وزن يحوي العيب ، فضلًا عن أنه (يدل على أن ذلك عادة منه ، قد ضرى بها)[9]، وكأن وكأن (ذلك الوصف ملكة لصاحبه)[10]، فمثلًا (الضُّحَكَة الرجل الكثير الضحك ، يعاب عليه)[11]، وهو وزن يفيد معنى المبالغة. وقد وردت عليه في اللغة كلمات مثل (صُرَعَة) في قول رسول الله ﷺ: ﴿ ليس الشديد بالصُّرَعَةِ ، إنما الشديد الذي

---

[1] ينظر: جامع البيان : 12 / 688 ، والجامع لأحكام القرآن : 20 / 144. فذكرت الروايات أن الآية نزلت في أُبَيِّ بنِ خلفٍ ، أو الأخنس ابن شريق ، أو أمية بن خلف ، أو الوليد بن المغيرة ، أو جميل بن عامر.
[2] ينظر جامع البيان : 12 / 688 ، والجامع لأحكام القرآن : 20 / 144.
[3] الكشاف : 4 / 789.
[4] -الموافقات : 4 / 39.
[5] جامع البيان : 12 / 688.
[6] إعراب القرآن الكريم وبيانه : 8 / 404.
[7] ينظر أدب الكاتب : 332 ، وشذا العرف في فن الصرف : 94 ، وأبنية المبالغة ودلالاتها في القرآن الكريم : 242.
[8] أبنية المبالغة ودلالاتها في القرآن الكريم : 58.
[9] الكشاف : 4 / 788.
[10] التحرير والتنوير : 30 / 540 ، وينظر روح المعاني : 30 / 231.
[11] لسان العرب مادة (ضحك) :

يملك نفسه عند الغضب ﴾[1]. و(الصُّرَعَةُ) هو من (يصرع الناس كثيرًا)[2]، وأصل وأصل هذا الوزن هو (فُعَل) ، وهو للمبالغة في وزن الفاعل. يقال : رجل حُطَمٌ ، وهو قليل الرحمة بالماشية[3]. وعلى ذلك فإن (الهُمَزَة) هو الذي يهمز الناسَ بكثرة ومبالغة[4]، والتاء لحقت آخره للمبالغة في الوصف ، ودخولها جعل الكلمة مما يستوي فيه المذكر والمؤنث[5].

وزن (فُعَلَة) لم يرد في القرآن الكريم إلا في هذه السورة الكريمة في ثلاث كلمات هي : "هُمَزة" و "لُمَزة" و "حُطَمة"[6]. والحُطَمة فهي (النار التي من شأنها أن تحطم كل ما يلقى فيها)[7]، وبَيَّنَ الله ﷻ إنها جزاء الهُمَزة اللُمَزة ، فجاء هنا التطابق في الوزن الصرفي بين الجريمة والعقاب ، فالجزاء من جنس العمل. فمن كان هُمَزة لُمَزة فجزاؤه الحُطَمة. وهذا التطابق الصرفي والتشابه الصوتي فيه إشارة إلى الإمعان في تأكيد ترتب هذا الجزاء على تلك المعصية وتلازمهما ، بغية التنفير من المعصية باستحضار الجزاء على الوزن نفسه. يقول أحمد بن المنير الإسكندري : (وأحسن مقابلة الهمزة اللمزة بالحطمة ، فإنه لما وسمه بهذه السمة بصيغة أرشدت إلى أنها راسخة ومتمكنة منه أتبع المبالغة بوعيده بالنار التي سماها بالحُطَمَة لما يُلْقَى فيها ، وسلك في تعيينها صيغة مبالغة على وزن الصيغة التي ضمنها الذنب حتى يحصل التعادل بين الذنب والجزاء. فهذا الذي ضرى بالذنب جزاؤه هذه الحطمة التي هي ضارية بحطم كل ما يلقى إليها)[8].

فضلًا عن أن الهُمَزة اللُمَزة يُحَطِّم مكانة الناس وسمعتهم ؛ فإنه يُحَطَّم في الحطمة ، حاله حال كل ما يُلقى فيها ؛ فمن يُحَطِّمْ يُحَطَّمْ ؛ والجزاء من جنس العمل.

---

[1] الحديث رواه أحمد : 2 / 236 ، والبخاري في صحيحه : 720 برقم (6114) ، ومسلم : 1555 برقم (2609).
[2] الصحاح مادة (صرع): 641 ، وينظر القاموس المحيط مادة (صرع): 737.
[3] ينظر التحرير والتنوير : 30 / 540.
[4] ينظر أبنية المبالغة ودلالاتها في القرآن الكريم : 243.
[5] ينظر إعراب القرآن الكريم وبيانه : 8 / 404.
[6] ينظر أبنية المبالغة ودلالاتها في القرآن الكريم : 58.
[7] الكشاف : 4 / 789.
[8] الانتصاف بهامش الكشاف : 4 / 788.

وردت هُمَزة ولُمَزة صفتين لمن استحق الويل ، وهو الذي جمع مالًا وعدده ، ووردت كلمة (الحُطَمة) مرتين متناسبة مع جرمي الهمز واللمز.

والمعنى السياقي للآية على هذه القراءة هو أن الله ﷻ هدد بالويل والنار كل من كان ديدنه عيب الناس والانتقاص منهم بالقول أو الفعل أمامهم أو خلفهم.

وإذا جمعنا المحصلة الدلالية للقراءتين فإننا سنحصل على معنى مزدوج ينهى الله ﷻ فيه عن أن يجعل الإنسان من نفسه مصدر ضحك الناس وانتقاصهم ، من جهة ، ومن جهة أخرى ينهى أن يهمز الرجل غيره ويلمزه ، ويسخر منه. فتقوم الجملة على القراءتين مقام جملتين في النهي عن معصيتين تختلف إحداهما عن الأخرى ، تتعلقان بالسخرية والاستهزاء ، لكنهما مختلفتا الاتجاه نتيجة لاختلاف وزن الكلمة الذي ترتب عليه اختلاف الدلالة في القراءتين. وهذا مظهر من مظاهر الثراء الدلالي الذي تمتلكه العبارة القرآنية ، وتتميز به من بقية العبارات.

خامسًا : النسب على وزن "فاعِل"

قــرأ الإمــام الصــادق عليه السلام قولــه ﷻ: ﴿ [illegible] ﴾ [الكهف : 18] بـألف بعـد الكـاف (كـالِبُهم). وهي من انفراداته[1].

الكلمة القرائية (كالِبُهم)   ك ـَـ / ل ـِـ / ب ـُـ / هـ ـُـ م

الكلمة المصحفية (كَلْبُهُمْ)   ك ـَـ ل / ب ـُـ / هـ ـُـ م

الكلمة على قراءة الإمام تتكون من أربعة مقاطع : الأول طويل مفتوح يتكون من قاعدة الكاف وقمة هي الألف بعدها ، ومقطعان قصيران مفتوحان هما : الثاني ويتكون من قاعدة اللام وقمة هي كسرتها ، والثالث ويتكون من قاعدة الباء وقمة هي ضمتها. ومقطع طويل مغلق هو الرابع يتكون من قاعدتين هما : الهاء والميم بينهما قمة هي ضمة الهاء.

والكلمة على قراءة المصحف تتكون من ثلاثة مقاطع : المقطع الأول طويل مغلق يتكون من قاعدتين هما : الكاف واللام بينهما قمة هي فتحة الكاف ، والمقطع

[1] ينظر البحر المحيط : 6 / 105 ، وأسرار القرآن وأنوار الفرقان ورقة : 606.

الثاني قصير مفتوح يتكون من قاعدة الباء وقمة هي ضمتها ، والمقطع الثالث يتكون من قاعدتين هما الهاء والميم بينهما قمة هي ضمة الهاء.

الذي حصل عند إضافة الألف هو انشطار المقطع الأول من قراءة المصحف ، إذ تم مد الصوت بفتحة الكاف حتى تولدت منها الألف ليكوِّنا معًا مقطعًا طويلًا مفتوحًا ، ونقل اللام إلى المقطع الثاني لتكون قاعدة له ، وجيء بالكسرة لتكون قمة لهذا المقطع.

فمن قرأ (كالِبُهُمْ) قصد أنه وزن "فاعل"، لكنه لم تتم صياغته من الفعل الثلاثي ، بل تمت صياغته من اسم ثلاثي ، وهو هنا كلمة "كَلْب".

والاشتقاق من الاسم أقل بكثير من الاشتقاق من الفعل ، لكنه أمر موجود وثابت في اللغة، منقول عن العرب الفصحاء. فإن صاحب الشيء يعبر عنه باسم الفاعل ، يقول المبرد : (فإن كان ذا شيء - أي : صاحب شيء - بُنِيَ على "فاعل")[1]. ولا يدل وزن "فاعِل" - في هذا الاشتقاق وأمثاله - على اسم الفاعِل. يقول أستاذنا د. فاضل السامرائي :(و "فاعِل" هنا ليس بجارٍ على الفعل ، إنما هو اسم صيغ لذي الشيء ؛ ألا ترى أنك لا تقول : درع - يدرع ، ولا لبن - يلبن ؟)[2]، من دارع ولابن. وذكر ابن يعيش :(وما كان من هذا ذا شيء ، وليس بصنعة يعالجها ، أتوا بها على "فاعل". وذلك لأن فاعلًا هو الأصل)[3]. وقد جاءت على هذا النوع كلمات من مثل : نابِل لذي النبل ، ورامح لذي الرمح ، وناشب لذي النُّشّاب، وسائف لذي السيف ، ودارع لذي الدرع ، وتامر لذي التمر[4]. ويقال : قوم سامنون زابدون إذا كثر سمنهم وزبدهم. وعليه ورد قول الحطيئة :

وغَرَرْتَني وزَعَمْتَ أنـــــك لابِنٌ بالصَّيفِ تامِر[5]

---

[1] المقتضب : 3 / 161.
[2] معاني الأبنية في العربية : 53 ، وينظر شرح المفصل : 6 / 13.
[3] شرح المفصل : 176.
[4] ينظر الكتاب : 2 / 90 ، والمخصص : 15 / 69 ، والمقتضب : 1 / 120 ، 3 / 161 ، والتطبيق الصرفي : 126.
[5] ينظر الكتاب : 2 / 90 ، والمقتضب : 3 / 161.

ووزن "فاعِل" هنا يدل على النسب إلى الشيء ، فكأنه قال : لَبَنيّ وتَمْريّ ونحوه[1]. وهذه صيغة في النسب من الصيغ التي عرفتها اللغة العربية ، غير الياء المشددة التي هي الأصل في النسب[2].

و(يصاغ اسم الفاعل من الثلاثي المجرد على وزن "فاعِل")[3]. وهنا صيغت صيغة "فاعِل" من كلمة "كَلْب"، وهذه الصيغة دالة على النسب. وبناءً على ما سبق فإن كلمة "كالبهم" بمعنى : (صاحب كلبهم)[4]، وهي بذلك مثل صيغة اسم الفاعل[5]. وعلى هذا المعنى فإن صاحب الكلب جلس بالوصيد يحرسهم.

ومن قرأ (وكَلْبُهُمْ) فقد قصد الكلب الذي كان معهم. وذهبت كلمة العلماء في هذا الكلب إلى مجموعة من الآراء :

الأول : أنه الحيوان المعروف[6]. (هو كلب من كلابهم كان معهم)[7]. قيل : (مروا براعٍ معه كلب ، فاتبعهم على دينهم. وقال كعب : مروا بكلب ، فنبح لهم ، فطردوه ، فعاد ، فطردوه مرارًا. فقام الكلب على رجليه ، ورفع يديه إلى السماء كهيئة الداعي ، فنطق ، فقال : لا تخافوا مني ؛ أنا أحب أحبّاء الله ﷻ، فناموا حتى أحرسكم)[8]. وقيل : (كان كلبَ طباخ الملك ، وقد كان وافقهم على الدين فصحبه كلبه)[9]. وقيل : (كان لصيد أحدهم أو لزرعه أو لغنمه)[10]. وقد اختلف العلماء في في لونه واسمه. وهذا الأمر العلم به لا ينفع ، والجهل به لا يضر. وكل هذه الأقوال (لا حاصل لها ، ولا طائل تحتها ، ولا دليل عليها ، ولا حاجة إليها. بل هي مما ينهى عنه ؛ فإن مستندهم رجم بالغيب)[11].

---

[1] ينظر الكتاب : 2 / 91 ، وشرح المفصل : 5 / 100.
[2] ينظر التطبيق الصرفي : 125 – 126.
[3] المعجم المفصل في علم الصرف : 125.
[4] البحر المحيط : 6 / 105 ، وينظر الدر المصون : 7 / 460 ، وأسرار القرآن وأنوار الفرقان ورقة : 606.
[5] ينظر معاني الأبنية في العربية : 178.
[6] ينظر جامع البيان : 8 / 194 ، والجامع لأحكام القرآن : 10 / 306 ، والبحر المحيط : 6 / 105.
[7] جامع البيان : 8 / 194.
[8] الجامع لأحكام القرآن : 10 / 307 ، وينظر أسرار القرآن وأنوار الفرقان ورقة : 606.
[9] تفسير القرآن العظيم : 3 / 98.
[10] الجامع لأحكام القرآن : 10 / 306.
[11] تفسير القرآن العظيم : 3 / 98.

الثاني : أنه كان إنسانًا[1]. فقيل :(كان إنسانًا من الناس ، طباخًا لهم تبعهم)[2]. وقيل : (كان أحدهم ، وكان قد قعد عند باب الغار طليعة لهم. فسمي باسم الحيوان الملازم لذلك الموضع من الناس كما سمي النجم التابع للجوزاء كلبًا ؛ لأنه منها كالكلب من الإنسان)[3]. وعلى هذا الرأي فقد سمي الإنسان كلبًا لتشابه حاله مع حال حال الكلب من جهة أنه جلس عند باب الغار. وهو مكان جلوس الكلب.

الثالث : أنه كان أسدًا. وقد سمي الأسد كلبًا في دعاء النبي ﷺ حين دعا على عتبة بن أبي لهب أن يسلط الله ﷻ عليه كلبًا من كلابه ، فأكله الأسد[4].

والصواب من الآراء السابقة هو الرأي الأول. وهو كون المقصود كلبًا حقيقيًا. أي : الحيوان المعروف. وذلك لمجموعة من المعطيات هي :

أولًا : أنه هو المعنى المعجمي للكلمة. فهو الأصل الذي وضعت له الكلمة ، وهي تدل عليه بدلالة المطابقة. ولا يحاد عنه إلا بوجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي ؛ كما في المجاز. ولما لم تتوافر القرينة فإن الكلمة تحمل على الحقيقة ، والحقيقة (اسم لكل لفظ أريد به ما وضع له)[5]؛ لأنها الأصل في الاستعمال وهي مُقَدَّمةٌ على المجاز في ذلك. وهذه اللفظة تعد من ألفاظ الخصوص عند الأصوليين والخاص عندهم (كل لفظ وضع لمعنى واحدٍ معلومٍ على الانفراد)[6]. وحكمه أنه يتناول المخصوص قطعًا من دون أن يراد به غيره ولكونه بينًا فلا يحتاج إلى بيان وتفسير[7]. ومن ههنا يأتي الاستغراب من حمل هذا اللفظ على غير معناه الذي وضع له. والحقيقة (متى أمكن العمل بها سقط المجاز)[8].

---

[1] ينظر جامع البيان : 8 / 194.
[2] جامع البيان : 8 / 194.
[3] حياة الحيوان الكبرى : 2 / 420.
[4] ينظر حياة الحيوان الكبرى : 2 / 419 – 420 ، والحديث رواه الحاكم في -المستدرك على الصحيحين : 2 / 633 – 634 برقم (4042) وقال عنه : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال عنه ابن حجر في فتح الباري بشرح صحيح البخاري : 4 / 39 : وهو حديث حسن.
[5] المنار في أصول الفقه : 105.
[6] المنار في أصول الفقه : 43.
[7] ينظر المنار في أصول الفقه : 44 ، وشرح متن المنار : 44.
[8] المنار في أصول الفقه : 108.

ثانيًا : بسط الذراعين. قال ﷻ: ﴿□□ □□□□□□□□□□ □□□□ □□□□□□□ □□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□ □ □□□□□□□□□□﴾، وبسط الذراعين من صفات الكلب في العرف[1].

ثالثًا : كثرة القائلين به من المفسرين. فقد نقل القرطبي في تفسيره أن هذا الرأي هو رأي أكثر المفسرين[2].

رابعًا : إقعاؤه بالوصيد. وهو المكان الطبيعي لجلوس هذا الحيوان وهو الكلب ، والوصيد - على أرجح الأقوال – هو الباب ، أو فناء الباب ؛ أي : المكان الذي يغلق فيه الباب[3]. إذ إنه لا يجلس مع الناس عادة ، بل يجلس عند الباب ، يقول ابن ابن كثير :(ربض كلبهم على الباب ، كما جرت به عادة الكلب ،... وهذا من سجيته وطبيعته ، حيث يربض ببابهم ، كأنه يحرسهم)[4].

خامسًا : تمييزه في العدد ؛ فإن الله ﷻ عندما ذكر عددهم فصله عنهم في العدد ، فقال الله ﷻ: ﴿ ™ y ‹ u) à q 9 ä q b t O r = n »W s p ×

š c q ä 9 q à) t ƒ u r ó O ß g ç 6ù= x . ó O ß g ã è Î / # §‘
$ R H ø d u ‘ ö N å k â : ù= x . ö N å k Þ □ Ï Š $ y ™ × p | ¡ ÷ H s~
× p y è ö 7 y ™ š c q ä 9 q à) t ƒ u r (Í = ø ‹ t ó ø 9 $ $ Î /

r u O r $ B Ï] ß ö N å k â : ù= Ÿ2 ö N å k â : ù= x . 4 ... È Ë Ë Ç﴾. ولو كان من جنسهم لما فصل عنهم في العدد ، فلا مبرر لفصله غير اختلافه عنهم ؛ فهو كلب ، وهم بشر.

سادسًا : إفراده بحال خاصة. فقد قَلَّبَهُمْ الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿

r u R ç)s= k Ï 6 ç g ß N ö Œs #N | # $ 9 ø ‹ u J Ï ü û È

r u Œs #N | # $ 9 ± e Ï J y $A É﴾. وأفرد الكلب بحال غير حالهم فقال ﷻ: ﴿ r u . x =ù6 ç g ß O / t » ¡ Å Ý Ô Œ Ï ‘ u #ã t Š ø m Ï﴾. ولو كان رجلًا مثلهم لَقُلِّبَ كما قُلِّبوا.

---

[1] ينظر الجامع لأحكام القرآن : 10 / 309.
[2] ينظر الجامع لأحكام القرآن : 10 / 306.
[3] ينظر جامع البيان : 8 / 195 ، وأسرار القرآن وأنوار الفرقان ورقة : 606.
[4] تفسير القرآن العظيم : 3 / 98.

وبعد : فلا مستند من النقل الصريح من القرآن الكريم أو السنة النبوية الصحيحة يستند إليه من قال خلاف هذا الرأي ؛ فنقول مطمئنين : إن هذا هو الرأي الصواب. وأما حمله على أنه إنسان فبعيد. أما الأبعد منه فقول من قال : إنه أسد. وكون كلمة "كلب" جاءت في سياق من السياقات دالة على الأسد لا يجعلنا نحملها على هذا المعنى في السياقات الأخرى ؛ فورودها في دعاء الرسول ﷺ بمعنى الأسد لا يكفي لحملها هنا على هذا المعنى. لأنها حملت على الأسد في دعائه لأن تتمة الحديث تقول : فأتى أسد فأكله. فمستندها النقل الصحيح. الأمر الذي نفتقر إليه هنا ، لذلك تعذر حملها عليه. فضلًا عن قلة القائلين به.

ولعل القائلين : إنه إنسان. قصدوا القراءة الأخرى "كالبهم"، فإنها تعني "صاحب كلبهم". كما سبق في دراسة قراءة الإمام. وبذلك يمكن أن يكون هذا الرأي أيضًا صوابًا على قراءة الإمام لا على قراءة الجمهور.

Abstract

The Qur'anic expression is, rhetorically, the richest Arabic expression, what adds more richness to it is that it is applicable to various readings as the Qur'anic readings are considered an additional phonological, morphological, rhetorical and syntactical source added to the great meanings of the Qur'anic text.

This dissertation is entitled **"A Linguistic and Syntactic Study of the Two Readings of Imam Mohammed Elbaqir and Imam Ja'far Elsadiq"**. It aims at studying the readings of two outstanding Muslim figures by means of investigating the science of Qur'anic readings in them; Imam Mohammed Elbaqir and Imam Ja'farElsadiq**.**

After compiling the material of the study, it is set to compromise a preface, three chapters, a conclusion and an appendix. The preface is dedicated to the biographies of Imam Elbaqir and Imam Elsadiq. It included; their names, nicknames, mothers, birth, features, sheikhs, students, death, offspring, scholars' praise of them, some of their speeches and attribution and statistics of their readings.

Chapter one, "Levels of Forms and Rhythms", is in two sections; the first deals with verbs and the second with nouns. The chapter tackles things related to phonology and morphology in the readings of the two Imams.

The second chapter is entitled "The Connotative Level". It is divided into two sections as well; the first studies the connotation of nouns, while the second deals with the connotation of verbs and particles. It contains the readings that comprise connotative variations. Therefore, it studies the read word and its peer the Qur'anic word, the connotations of both, and how both are easily found in the Qur'anic context.

Chapter three, which is "The Structural Level", is also divided into two sections; the first tackles the explicit and implicit nouns, while the second deals with verbs. This chapter is allocated to the study of the readings that carry variations in the syntax of the read sentence and the Qur'anic sentence in addition to the individual differences stemming from these varied structures.

The conclusion is set to sum up the findings of the study. It is followed by an appendix of the readings of the two Imams, which is then followed by a bibliography and English abstract.